رابح بن فضل الله السوداني
قائد المقاومة الوطنية ومؤسس أول دولة عربية في تشاد
(١٨٤٦ – ١٩٠٠)

أ.د.ظاهر محمد صكر الحسناوي
جامعة بغداد/ كلية التربية للعلوم الانسانية /ا بن رشد

المستخلص :

كان رابح بن فضل الله واحدا من ضباط الزعيم السوداني المعروف الزبير باشا رحمة منصور، الذي تمكن من اقامة امارة خاصة به في أقليم بحر الغزال ثم امتدت لتشمل كردفان ودارفور ، وبسبب التحريض البريطاني باتهامه بتجارة الرقيق بدأت السلطات المصرية في الخرطوم بمضايقته ، فرحل مع حاشية ضخمة الى القاهرة ليؤكد للخديوى اسماعيل بانه موال لمصر وليس لديه اية نوايا انفصالية ، لكنه احتجز هناك ومنع من العودة ، فتولى ابنه سليمان ادارة البلاد الا ان غوردون حاكم السودان مالبث ان دبر ضده مؤامرة فاتهمه بمحاولة الانفصال هو الآخر، وارسل اليه قوة بقيادة الضابط الايطالي جسي ، وبناء على نصيحة والده الزبير استسلم سليمان لجسي مؤكدا حسن نواياه الا ان الأخير سرعان ما غدر به وقتله مع عدد من اقاربه ، وكان رابح احد ضباط سليمان البارزين الذي لم يأمن جانب هؤلاء الاجانب فرفض الاستسلام مع سليمان ، واتجه غربا مع نحو الف مقاتل من اتباعه المسلحين بالبنادق ، واستولى على مناطق متعددة في جنوب مملكة وداي ثم اخذ يتوسع تدريجيا حتى تمكن من تكوين مملكة واسعة سنة ١٨٩٢ضمت اجزاء من مملكة وداي وكل من مملكتي باكرمي وبرنو واجزاء من مملكة سوكوتو، واتخذ من مدينة دكوة عاصمة له ، وشكل جيشا قويا وبذلك اسس او دولة عربية اسلامية حديثة في تشاد واجزاء من الكامرون والنيجر الحالية ، وهذا ما ادى الى اصطدامه بالتغلغل الاستعماري الفرنسي في وسط القارة الافريقية ودارت بينهما معارك طاحنة استمرت على مدى ثماني سنوات انتهت باستشهاد رابح والقضاء على مملكته سنة ١٩٠٠ بعد ان استقدمت فرنسا قوات كبيرة من الجزائر وغرب افريقيا . فتولى ابنه فضل الله قيادة المقاومة العربية هناك حتى استشهد هو الاخر سنة ١٩٠٢.

مقدمة :

تحدث التاريخ بصفحات كثيرة عن رجالات العرب الابطال في شمال أفريقيا، الذين تصدوا للغزو الاوربي ونازلوه بشجاعة قل نظيرها اينما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ومنهم الامير عبد القادر الجزائري (١٨٠٨-١٨٨٣) في الجزائر ، وعمر المختار (١٨٥٨-١٩٣١) في ليبيا، وعبد الكريم الخطابي (١٨٨٢-١٩٦٣) في المغرب الاقصى وغيرهم .الا ان هذا التاريخ لم يتحدث كثيرا عن اولئك الذين قاوموا التغلغل الاستعماري في افريقيا جنوب الصحراء، او على الاقل لم يتحدث عنهم بما يوازي استحقاقهم التاريخي ودوهم البطولي في التصدي للماكنة الاستعمارية الاوربية التي تحركت بكل ما لديها من آلات الحرب المدمرة لسحق مراكز المقاومة العربية الاسلامية هناك خلف الفيافي الرملية في جنوب الصحراء الكبرى .

ففي تلك البوادي وبين تلك الواحات الخضراء خاض العرب والمسلمون – بقبائلهم وزعمائهم وزواياهم – معاركا طاحنة ضد المستعمرين الغزاة كان من المؤسف ان تتغافل كتب التاريخ عن الحديث عنها ، فصفحاتها البيضاء التي لا تزيد التاريخ العربي الا فخرا ولا تعطيه الا مجدا ، ما زالت تنتظر من يأتي لينفض عنها غبار السنين ويسطر عليها سفرا من ملاحم البطولة العربية – الاسلامية. ورابح بن فضل الله شخصية عربية صنعت مجدها بنفسها وبامكانياتها الخاصة والمحدودة ، وكادت ان تغير اتجاهات التاريخ في ذلك الجزء من العالم ، بعد ان تصدت ببطولة نادرة للغزو الفرنسي هناك .

من هنا كان اختيارنا لشخصية رابح بن فضل الله السوداني – المعروف باسم رابح الزبير – مؤسس اول دولة عربية في تشاد في العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، ليكون مدخلا لدارسة تاريخ تلك الرقعة الجغرافية المجتزأه من جغرافية الوطن العربي والمغيبة قسرا عن تاريخه ، وما ذلك الا محاولة متواضعة لتسليط الضوء على صفحات من تاريخ العرب الحديث تكاد تكون مجهولة للقاريء العربي في ذلك الجزء من القارة السوداء.

التوسع الفرنسي في حوض بحيرة تشاد:

ثمة دوافع اقتصادية ودينية واستراتيجية وقفت خلف التوسع الاوربي في القارة الافريقية ،اذ ادى التطور الصناعي الكبير في اوربا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى تزايد الاهتمام الاوربي بالقارة الافريقية بحثا عن المستعمرات التي تزودها بالمواد الاولية لصناعاتها وتكون اسواقا لتصريف منتوجاتها ، واتخذ هذا الاهتمام اشكالا متعددة تجسدت في ارسال البعثات الاستكشافية لتتبع مجاري الانهار الافريقية مثل : النيل والكونغو والنيجر . وتأسست الجمعيات التي ترعى مثل تلك الاستكشافات مثل الجمعية الافريقية الفرنسية التي تأسست سنة ١٨٧٩ في

باريس ، والجمعية البلجيكية لدراسة مجرى نهر الكونغو التي تأسست سنة ١٨٧٨ في بروكسل ، والجمعية الالمانية للدراسات الافريقية التي تأسست في برلين سنة ١٨٧٨ ، وكذلك الجمعية الالمانية للاستعمار التي تأسست في فرانكفوت سنة ١٨٨٢ .[١] وترافق ذلك مع انشاء الشركات التجارية لاستنزاف موارد القارة الاقتصادية ، وارسال البعثات التبشيرية لتؤدي دور الممهد لبسط السيطرة الاستعمارية عليها ، وتنصير الشعوب الافريقية .

ولتحقيق هذه الاهداف عقدت الدول الاوربية مؤتمر برلين (١٨٨٤-١٨٨٥) الذي حضرته الدولة العثمانية ايضا وصدرت عنه قرارات خطيرة كان لها الاثر الكبير في السياسية الاوربية انذاك تجاه القارة الافريقية ، اذ نصت المادة الرابعة والثلاثون من تلك القرارات على ان تعلن اية دولة عضو في المؤتمر عن اطماعها في احتلال اية منطقة في افريقيا حتى لا يقع تصادم بين الدول حول منطقة واحدة ، وان تدعم تلك الدول اطماعها باحتلال عسكري فعلي على ان تقيم فيها حكما عادلا وتعمل على تطوير سكانها ، وجاء في هذه القرارات ا ن اي دولة تحتل نقطة على الساحل يكون لها الحق في احتلال ظهير هذه النقطة او الاراضي الداخلية المتصلة بها ، وان الاحتلال الفعلي وحده هو الذي يبررهذا الحق ، ومن اجل سريان هذا الحق يجب ابلاغ كل عملية استيلاء على الاراضي الواقعة على السواحل الافريقية وبدون تأخير الى الدول الموقعة على الاتفاقية ، وعلى الدول صاحبة السيادة الالتزام باقامة سلطة كافية على الاقاليم التي تدعي انها تحتلها [٢] ، وانهت تلك المفاهيم الافكار البريطانية عن انشاء امبراطورية بواسطة النفوذ ، وقرر المؤتمر ان تكون الملاحة في نهري النيجر والكونغو حرة للجميع ،مما انهى المحاولات البريطانية لاغلاق الملاحة في نهر النيجر امام الفرنسيين ، ونهر الكونغو امام البلجيكيين[٣]، وهكذا اعطى هذا المؤتمر اشارة البدء للدول الاوربية بالسعي للسيطرة على القارة الافريقية واستعمارها مما خلق حالة من التنافس الشديد على مناطق النفوذ فيها كادت ان تؤدي الى الصدام العسكري بين تلك الدول فلجأت الى عقد اللاتفاقيات لتحديد مناطق النفوذ وتوحيدها لكل دولة ، ومن اهم تلك الاتفاقيات هي اتفاقية لندن التي عقدت في ٤ آب ١٨٩٠ بين فرنسا وبريطانيا لتحديد نفوذ كل منهما حول نهر النيجر وبحيرة تشاد ، وقد حصلت فرنسا فيها على كل المنطقة الواقعة بين حوض النيجر وبحيرة تشاد [٤].

اثارت هذه الاتفاقية امتعاض الدولة العثمانية التي كانت تعد حوض بحيرة تشاد ضمن مناطق نفوذها في الدواخل الليبية ، فبعثت بمذكرة احتجاج في ٣٠ تشرين الاول ١٨٩٠ الى كل من بريطانيا وفرنسا بهذا الشأن ، اللتين وعدتا انهما ستراعيان حقوق السلطان هناك ، الا ان تزايد الاطماع الايطالية في ليبيا دفع الحكومة الفرنسية الى ان تسعى جاهدة للسيطرة على المناطق

الواقعة جنوب ليبيا والجزائر ، وتجنبا لاثارة كل من ايطاليا والدولة العثمانية بدأت فرنسا بالتغلغل سلميا في تلك المناطق من خلال استمالة القبائل التي تعيش فيها والتي تسيطر على طرق القوافل الصحراوية.[٥] ولكن في الوقت نفسه كانت فرنسا تخوض حربا ضروسا في غرب القارة للقضاء على حكم الزعيمين المسلمين احمد شيخو بن الحاج عمر[٦] زعيم قبائل التكولور Toculor المسلمة التي كانت تقيم مملكة حول نهر السنغال ، والشيخ ساموري[٧] Samori زعيم قبائل الماندنجو المسلمة، وتمكنت فرنسا من القضاء على هاتين المملكتين المسلمتين ونفت ملكيهما الى الغابون سنة ١٨٩٨ ، كما احتلت داهومي ونفت ملكها بهانزين الى جزر الهند الغربية [٨].

ادى التوسع الفرنسي في غرب افريقيا الى اثارة حفيظة بريطانيا ووقع صدام عسكري بين الدولتين حول ساحل غانا ، انتهى بعقد اتفاقية جديدة بينهما في ١٤ حزيران ١٨٩٨ حصلت فيها فرنسا على داهومي وغينيا ونالت بريطانيا غانا ، وبذلك صارت الطريق مفتوحة امام القوات الفرنسية للتوغل في وسط الصحراء ، وسيطرت على السياسة الفرنسية انذاك فكرة التوسع في عرض القارة الافريقية ، من سواحل افريقيا الغربية على المحيط الاطلسي الى سواحل افريقيا الشرقية على البحر الاحمر والمحيط الهندي ، بهدف ربط مستعمراتها في غرب افريقيا بمستعمراتها في شرق افريقيا مثل جيبوتي والصومال ، وبذلك تستطيع افشال الاستراتيجية البريطانية الهادفة الى التوسع في القارة الافريقية عموديا لربط مستعمراتها في شمال القارة مثل مصر والسودان بمستعمراتها في جنوب القارة ومنطقة الكاب بحسب مشروع سيسل رودس[٩] .

وهكذا اصبحت منطقة وسط افريقيا تمثل عقدة الصراع بين الاستراتيجيتين البريطانية والفرنسية في القارة الافريقية ، فمن يسيطر عليها منهما يستطيع اولا ان يحقق استراتيجيته ،وثانيا يستطيع افشال استراتيجية الطرف الاخر بمنعه من تحقيق تواصل استراتيجي بين مستعمراته على طرفي القارة .

وتنفيذا لتلك السياسة ارسلت الحكومة الفرنسية حملة عسكرية تحت اسم بعثة علمية مؤلفة من ١٦٢ جنديا وضابطا بقيادة المقدم مارشان[١٠] marchan للاستيلاء على اعالي النيل وعززتها بحملة ثانية من جيبوتي للغرض نفسه وتمكنت القوات الفرنسية في ١٠ تموز ١٨٩٨ من رفع العلم الفرنسي عند منطقة فاشودة ، وفي الوقت نفسه انطلقت القوات البريطانية بقيادة الجنرال كتشنر[١١] Kitchner قائد الجيش المصري في السودان بعد القضاء على الثورة المهدية ، من ام درمان حتى وصلت الى فاشودة ، واصبحت القوتان وجها لوجه وكادت تقع بينهما مصادمات عنيفة بسبب ادعاء كل منهما بحقه في السيطرة على هذه المنطقة ، الا ان تم حل هذ النزاع

بالطرق الدبلوماسية وانسحاب القوات الفرنسية المفاجئ حال دون ذلك . وفي ٢١ آذار ١٨٩٩ عقدت الدولتان معاهدة لحسم المسألة تخلت فرنسا فيها عن مطالبها في بحر الغزال واعالي النيل مقابل اعتراف بريطانيا بالنفوذ الفرنسي في منطقة بحيرة تشاد[١٢] التي تشمل ممالك واداي[١٣] وكانم[١٤] وباكرمي [١٥].

وبذلك اصبحت الظروف الدولية ممهدة للقوات الفرنسية لتبدأ حملاتها العسكرية على هذه الممالك الواقعة في حوض بحيرة تشاد ، الا ان هذا الزحف لم يكن سهلا وبلا ثمن ، فقد تصدت الممالك والحركات العربية الاسلامية في تلك المناطق بضراوة لهذا الغزو على مدى اكثر من عشر سنوات متواصلة تكبد فيها الفرنسيون خسائر فادحة على الرغم من اختلال ميزان القوى العسكرية بين الطرفين .وكان رابح بن فضل الله السوداني واحدا من ابرز تلك القوى العربية التي وقفت بوجه هذا الغزو .

من هو رابح بن فضل الله ؟

اختلف المؤرخون في تحديد معالم شخصية رابح بن فضل الله المعروف باسم (رابح بن الزبير) ولاسيما في المراحل المبكرة من حياته ، كما اختلفت حتى في تحديد اسمه ونسبه فمنهم من قال انه رابح بن زبير[١٦] ومنهم من قال انه رابح بن فضل الله السوداني[١٧] ومنهم من قال انه رباح زبير[١٨] وليس رابح. الا ان اغلب المصادر الاوربية حتى الموسوعة البريطانية Encyclopeedia Britannica(مادة Rabih Az_zubayr) اطلقت عليه اسم رابح الزبير بالرغم من انه لايمت بصلة الرحم الى الزبير رحمة الذي حمل اسمه . اما اسمه الحقيقي فهو رابح بن فضل الله .واشارت المصادر التاريخية الى ان رابح قد ولد في حلفاية الملوك وهي ضاحية من ضواحي مدينة الخرطوم وقد اختلف المؤرخون في سنة ولادته فمنهم من قال سنة١٨٤٢[١٩] ، ومنهم من قال سنة١٨٤٥[٢٠] ومنهم من قال سنة ١٩٤٦ ، وان والده كان ملكا لاحدى القبائل التي استوطنت بحر الغزال [٢١] ، وهذه الرواية منقولة من كتاب القائد العسكري الفرنسي الذي عاصر رابح وحارب ضده وهو اميل جنتل[٢٢] Emile Gentil الذي وضع كتابا عن رابح ، ويبدو ان هذه الرواية مستبعدة هي الاخرى اذ ان الروايات اتفقت على ان ولادته في حلفاية الملوك وليس في بحر الغزال .

وهناك ارتباك واضح في تحديد تاريخ انتمائه الى جيش الزبير رحمة ، اذ ذكرت احدى الروايات بانه عندما بلغ العشرين من عمره سافر الى القاهرة والتحق بجيش الخديوي اسماعيل حيث تدرب على مهنة حمل السلاح ، وقد اصيب في اثناء مناورة عسكرية – وقيل اثناء احدى

المعارك – بيده اليمنى فشوهت هذه الحادثة الاصبع البنصرفي يده اليمنى ، فابعد على اثرها من الجيش المصري واضطر الى العودة لبلاده وكان والده قد توفي قبل ان يغادر رابح القاهرة ، فلما لمع نجم الزبير رحمة في بحر الغزال انضم اليه رابح واصبح من اعوانه المقربين [٢٣]، واذا صحت هذه الرواية فان رابح انظم الى الجيش المصري في حدود سنة ١٨٦٥– ١٨٦٦ حيث كان عمره نحوعشرين سنة ، ويفترض انه امضى عدة سنوات هناك قبل عودته الى بلاده في حدود سنة ١٨٦٨– ١٨٦٩، وبذلك يكون انضمامه الى جيش الزبير سنة ١٨٧٠ صحيحا ومتطابقا مع مجرى هذه الاحداث ، الا اننا نستبعد هذه الرواية كون مؤلفها جنتل قد ربط حياة رابح ربطا محكما بحياة ودور الزبير باشا الذي كان الاوربيون يعدونه من اكبر تجار الرقيق في تلك المنطقة .

وهناك رواية أخرى معاصرة لعهد رابح تحدث كاتبها عنه وكيفية تكوين دولته وهو الرحالة السوري الاصل امير اللواء ومستشار السلطان عبد الحميد في ذلك الوقت صادق مؤيد العظم[٢٤]، والذي قام برحلة استكشافية الى الصحراء الكبرى في عام ١٨٩٥ ووصل الى الكفرة ، وتعد مذكراته وثيقة تاريخية مهمة لشاهد معاصر للاحداث ، فهو يقول بهذا الشأن :"ينتمي رابح الى قبيلة الجعليين[٢٥] احدى قبائل السودان المصري ، وابن احد علماء تلك المنطقة ، ولم يستفد رابح من علم والده الذي توفي عندما كان رابح في رحم امه... فتبناه زبير باشا وتكفل برعايته وتنشئته، وكان في باديء الامر يرافق الباشا في حروبه ثم بدأ بنفسه يقود هذه الحروب [٢٦] في الاراضي السودانية " ثم يصفه العظم بالقول انه "طويل القامة ، نحيف البنية ، بشوش الوجه،محمر البشرة ، أصيل الاخلاق ، متواضع ، متدين ، سخي ،وصاحب عزم وحزم، وهومالكي المذهب ، وفي كل حركاته وسكناته يلهج لسانه بتلاوة القرآن والتسبيح والتكبير"[٢٧] .

ويبدو ان هذا النص الذي وصل الينا من عصر رابح يتحدث باقتضاب عن طفولته ونشأته الاولى ، ويعطي وصفا دقيقا لشخصيته وصفاته وكذلك علاقته بالزبير، والسبب الذي جعل رابح يحمل اسمه ويشتهر به كونه الرجل الذي تبناه ورعاه بدلا من والده المتوفى .الا ان هذه الرواية تختلف عن رواية جنتل في موضوعة والد رابح فهو ليس ملكا كما قال جنتل وانما عالم دين كما قال العظم ، ورواية الاخير هي الاصح في هذا الموضوع ذلك ان جنتل وقع في خطأ عندما تصور ان الزبير رحمة الذي كان بالفعل ملكا او سلطانا في بحر الغزال والذي حمل رابح اسمه هو والد رابح الفعلي . ولذلك ان تسمية رابح الزبير جاءت من المصادر الفرنسية التي روجتها خطأ . اما قضية تبنيه من الزبير وتدريبه على الحياة العسكرية فما زالت تحتاج الى المزيد من المصادر الوثائقية لتوضيحها وبالتالي بيان اي الروايتين هي الصحيحة قصة

ذهابه الى مصر ام قصة تبنيه وهو طفل من الزبير .ومع ذلك فان رواية العظم تبدو هي الاقرب الى الحقيقة وان جنتل اساء فهم الاحداث وتفسيرها .

الزبير رحمة منصورالعباسي:

من هو الزبير رحمة وكيف اثر في شخصية رابح؟ ولماذا اشتهر رابح بانتسابه اليه اكثر من انتسابه الى اسم ابيه الحقيقي ؟ اسئلة مهمة تسلط الاجابة عنها مزيدا من الضوء على شخصية رابح وعلاقته بالزبير . ولد الزبيرفي ٨ تموز عام ١٨٣١ بجزيرة واوسي قرب الجيلي ،وهو ينتسب الى قبيلة الجعليين العربية من فرع الجميعات[٢٨] ،رحل من قريته في الجيلي الى الجنوب في ١٤ ايلول / سبتمبر ١٨٥٦م لاعادة ابن عمه عبد القادر الذي ذهب الى هناك للمتاجرة بالعاج ، فالتحق بخدمة التاجر المصري الصعيدي علي عموري الذي كان يتاجر بالرقيق والعاج فوجد الزبير نفسه منخرطا في التجارة ويشارك التجار في تجارتهم ، وعمل اولا مساعدا لعموري ، وفي عام ١٨٥٦ اخذ يمارس هذه التجارة في منطقة بحرالغزال وكيلا للتاجر عموري الذي اعجب بشجاعته واوكل اليه بهذه المهمة ، ولم يلبث الزبير ان استقل عنه وكون لنفسه جيشا سلحه بالبنادق ، وكان يتكون من السود الذين اصبحوا مسلمين على يده وحملوا السلاح دفاعا عنه[٢٩].

اخذ الزبير يتوسع في تجارته هذه فوصل الى منطقة الغرب حيث تسكن قبائل الزاندى[٣٠] فتقرب الى سلطانها الذي انقذه الزبير من موت محقق في هجوم مباغت شنته عليه القبائل المجاورة واصيب الزبير بجرح خطير في هذه المعركة فزوجه السلطان من ابنته مكافأة له على شجاعته[٣١] ، وهناك نجح في اقامة ملك خاص به عام ١٨٦٦ ، واتخذ من مدينة بايو التي سميت بعد ذلك باسم (ديم الزبير) عاصمة له حتى تمكن من فرض سلطته على منطقة بحر الغزال كلها ، وعمل على فتح طريق للتجارة بين امارته واقليم كردفان فلما ضايقته الحكومة المحلية عقد اتفاقية مع الرزيقات[٣٢] عام ١٨٦٦م لفتح طريق للتجارة عن طريق جنوب دارفور الى كردفان ووقع معهم معاهدة مقابل رسم مقرر يتقاضونه منه[٣٣] ،في عام ١٨٦٧م أنعم عليه الخديوي اسماعيل برتبة البيكوية وذلك بعد أن بسط سيطرته على بلاد بحر الغزال.واستطاع في الفترة بين عامي ١٨٦٩م و١٨٧٤م من هزيمة القوى المحلية في غرب السودان وجنوبه ، وأحتل سلطنة (تكما) بعد قتل سلطان دارفور ابراهيم محمد حسين المشهور (بقرض) في معركة منواشي، وضم اليه دار مساليت وتاما وقمر وسولا وتوغل في وداي[٣٤].

لم تكن تهمة تجارة الرقيق التي الصقها به تشارلس جورج غوردون Charles George Gordon (١٨٣٣- ١٨٨٥) وغيره من الاوربيين الا محاولة للتخلص منه وقد استخدم الاوربيون هذه التهمة على نطاق واسع ذريعة للتخلص من اعدائهم وشن الحروب والتوسع الاستعماري وانتزاع ممتلكات الاخرين بدعوى مكافحة تجارة الرقيق، فقد كان الزبير يشتري العبيد المحكومين بالاعدام بدفع ديتهم ثم يعتقهم ويضمهم الى جيشه ومنهم تكونت قوات الباسنقر.ففي عام ١٨٨٧ اجتمع الزبير باشا في منفاه بجبل طارق بالآنسة فلورا شو) MISS FLORA L.SHAW) في لقاءات اسبوعية امتدت حتى ٤ أشهر ، أفضى لها فيها بأحاديث طويلة تعرض فيها لتفاصيل سيرة حياته وأسفاره ومغامراته وفتوحاته وضمنها أفكاره ورؤاه السياسية في السياسة والادارة والاقتصاد كما نفى فيها نفياً باتاً وقاطعاً كل ما الصق به من تهمة الاتجار بالرقيق شارحاً وموضحاً الظروف والملابسات التي حاقت بذلك الأمر ، ومن الدلائل الكبيرة في ضعف هذه التهمة ماقاله الزبير اثناء حواره مع الكاتبة البريطانية فلورا شو في المنفى والذي نشر في جريدة التايمز البريطانية وقام بترجمته إلى العربية الدبلوماسي المعروف خليفة عباس العبيد حيث قال الزبير باشا :"إنما أريد منك أن تفهمي عني هو أنني كنت تاجراً ، وأنني قمت فعلاً بشراء عدد كبير من العبيد لأجندهم ولكني لم أكن تاجر رقيق قط في أي يوم من الأيام ... ربما يظن بي ذلك، ولكنني لم أكن كذلك اطلاقاً ولقد حاولت أن أجعلك تفهمين أنه بالنسبة للموقع والموضع الذي كنت أحتله، بأن ذلك سيكون أمراً مستحيلاً ، إن المهم في الأمر هو رأيي عما إذا كانت تجارة الرقيق عملاً صحيحاً أم خطأ ؟ أو إن كنت أتحدث لك عن الحقيقة بصدق أو غيره ولو أنني تاجرت بالرقيق إذاً لكان ذلك سيفضي إلى أن يدمرني تماماً ، وقد كنت على رأس تجارة واسعة ومتنوعة سبق لي أن تحدثت إليك عن فروعها المختلفة ، تجارة يتوقف نجاحها كلية على الأمن وتوفر الاستقرار في جميع المناطق المحيطة بي ، وكان رخائي ونعيمي الاقتصادي شخصياً ورخاء الأهالي المحليين يرتبطان كأمر واحد ، فالمواطنون المحليون إن كان ممن اصطيدو أو من الذين يخشون أن يباعوا لا يمكن أن يتاجروا معي ، وإذ هم لم يتاجروا معي فلن استطيع المتاجرة بدوري مع القوافل" وذكر الزبير ايضاً في حديثه لفلورا شو:"إن استجلاب هؤلاء كامدادات(للحرملكات) (دور الحريم) من أجل ان يتخذن خدماً وجواري ، وتحدث في هذا الشأن بعبارات قوية ليقول بأن ذلك أمر يحرمه القرآن ، وبأنه أكثر ضروب التجارة البشرية فظاعةً وظلماً وقسوة وإن كان لسوء الحظ هو في نفس الوقت اكثرها عائداً وربحاً وقد أدانها الزبير دون تحفظ" (٣٥).

اسس الزبير اول دولة عربية اسلامية في تلك الاصقاع النائية ، واتخذ لنفسه مجلسا للشورى من بعض العلماء لاقرار احكامه في تلك المناطق ، وكانت حكومة الزبير هذه هي اول حكومة عربية اسلامية تقام في بحر الغزال ، حيث ازدهرت فيها التجارة بسبب ما كانت تنعم به من هدوء وامان ،، وكان جعفر مظهر باشا حاكمدار السودان (١٨٦٦- ١٨٧١) قد سبق ان كتب الى الزبير كحليف لحكومة السودان وليس كتابع لها ، الا ان الامور ما لبثت ان تغيرت على اثر قيام الخديوي اسماعيل بارسال حملة عسكرية من المغامرين كان يقودها محمد البلالي الذي نصبه الخديوي حاكما على بحر الغزال ، اذ وصل اليها عام ١٨٧٢ ، فاسرع الزبير الى استقبال الجيش المصري ولكنه سرعان ما اختلف مع قائده بعد ان اخذ هذا يمنع تجارة الرقيق ويضايق تجارها [٣٦] ،وانتهى هذا الخلاف بمعركة انتصر فيها الزبير وقتل فيها البلالي وبذلك اصبح الزبير سيد البلاد بلا منازع [٣٧].

لم يكن بمقدور اسماعيل باشا ايوب حاكمدار الخرطوم (للمدة ١٨٧٢- ايار١٨٧٧) ان يتخذ اي اجراء ضد الزبير في تلك الاصقاع ، كما ان الزبير نفسه كان حريصا على ان تستمر تجارته عبر الخرطوم وليس من المصلحة اتخاذ اي عمل عدائي ضدها ، ولذلك كان الطرفان حريصين على قبول مبدأ التفاوض لحل الخلافات بينهما وكان حسين بك خليفة العبادي مدير بربر هو الواسطة بينهما ، وانتهى النزاع بأن عين الخديوي الزبير مديرا على بحر الغزال ووهبه رتبة البكوية على ان يدفع ١٥٠٠٠ جنيه سنويا للخزانة المصرية ، وبذلك اصبحت مديرية بحر الغزال تابعة لمصر. وفي كانون الاول ١٨٧٣ تسلم الزبير الامر الخديوي الخاص بتعيينه حاكما على بحر الغزال . وفي غضون ذلك كان الزبير يتخذ الاستعدادات العسكرية لضم اراضي قبائل عرب الرزيقات الى سلطته والتي لم تكن خاضعة للحكومة المصرية ، وكانت هذه القبائل تهاجم القوافل التجارية التي تمر عبر اراضيها قادمة من بحر الغزال ، واخفقت المفاوضات التي دارت بينهما لحل هذه المشاكل مما دفع الزبير الى مهاجمتهم عام ١٨٧٣ والانتصار عليهم واحتلال عاصمتهم شكا [٣٨] .

اثار احتلال اراضي الرزيقات احقاد سلطان دارفور ابراهيم محمد حسين – على الزبير لان الرزيقات كانوا تابعين له من الناحية الاسمية ، كما ان الزبير كان يطالب السلطان ابراهيم باستمرار بتسليم اثنين من شيوخ الرزيقات سبق ان فرا اليه ، اكمل الزبير استعداداته العسكرية لمهاجمة الفور وكتب لحكمدار الخرطوم اسماعيل باشا لمده بالرجال والسلاح ، الا ان اسماعيل باشا ارسل اليه شحنة صغيرة من السلاح ونصحه بالتريث لحين وصوله اليه اذ كان يتوجس خيفة من نفوذ الزبير الذي اخذ يزداد بشكل سريع . ولم ينتظر الزبير طويلا فشن الحرب على

دارفور في كانون الثاني ١٨٧٤ وخاض معارك متعددة كان اخرها معركة منواشي في تشرين الاول ١٨٧٤ التي انتصر فيها انتصارا ساحقا على قوات السلطان ابراهيم الذي استسلم له فقتله الزبير واحتل الفاشر عاصمة دارفور في ٢تشرين الاول ١٨٧٤ (٣٩).

كان الحاكمدار اسماعيل باشا يزحف بقواته ببطء شديد فلما اقترب من الفاشر علم ان الزبير قد احتلها قبل خمسة ايام فكتب الى الخديوي اسماعيل يزف له بشرى النصر الذي حققه الزبيربعد ان اثنى على نفسه وعلى جهوده التي لم يبذلها في واقع الامر،فانعم عليه الخديوي برتبة فريق وانعم على الزبير بالباشوية ، الا ان الاجراءات الادارية التي اتخذها الباشا في المناطق الجديدة المفتوحة ومبالغته في فرض الضرائب على السكان اثار امتعاض الزبير الذي وجدها عالية وليس للسكان القدرة على تحملها ودفعها فطلب من الباشا خفضها ، كما ان الزبير كان يرى انه احق بحكم البلاد التي فتحها ، الا ان الباشا كان يضمر له الغدر وكان عليه ان يتخلص منه باسرع وقت قبل ان يتعاظم نفوذه ، فلما شعر الزبير ان الحاكمدار لا يريد تخفيض الضرائب ولا يريد تعيينه حاكما على البلاد ، طلب الزبير منه السماح له بزيارة القاهرة لرفع شكواه الى الخديوي، فشد الرحال اليها في سنة ١٨٧٦ مع عدد كبير من جنوده وحاشيته وقد اهدى الى الخديوي ١٠٠٠ جندي من قوات الباسنقر المرافقة له كبادرة لحسن النية ، ولكن الخديوي اسماعيل منعه من العودة الى بلاده واجبره على الاقامة في القاهرة .(٤٠)

وفي عام ١٨٧٧ اشترك في الحرب الروسية العثمانية في جبهة البلقان ، وعاش الزبير في القاهرة مكرما حيث منحه الخديوي توفيق احد قصوره وكان مقربا منه ولم يشهد الزبير ظهور الحركة المهدية في السودان عام ١٨٨٠ اذ كان تحت الاقامة الجبرية في القاهرة ، كما ان ابنه سليمان قد اعدم سنة ١٨٧٩، وبذلك خلت السودان من شخصيات قوية تستطيع التصدي للحركة المهدية التي استغلت الفراغ السياسي هناك لتكون البديل الذي يستطيع ملء هذا الفراغ ، ولكن الزبير كان على علاقة سابقة مع عبد الله التعايشي عندما كان الزبير حاكما لبحر الغزال ودار فور ، فقد ورث عبد الله عن ابيه قراءة الطالع بالرمل والشعوذة فلما وقع اسيرا بيد الزبير طلب منه ان يقطعه ارضا بدارفور حين فتحها فاقطعه ارضا في نيجه، ولم يلبث ان كتب الى الزبير انه رآه في المنام بانه المهدي المنتظر ، وانه احد اتباعه ورجاه ان يخبره ان كان هو مهدي ذلك الزمان ليتبعه ، فكتب اليه الزبير يقبح له هذا العمل ويهدده بالسيف ، فلما ظهر محمد احمد المهدي عام ١٨٨٠ سارع التعايشي بالانضمام اليه ، وبعد حجز الزبير في القاهرة ومقتل ابنه سليمان على ايدي الضابط الايطالي جسي تشتت قوات الباسنقر في الفيافي والوديان على غير

هدى تبحث عن قائد جديد تنضوي تحت لوائه لمحاربة الكفار القتلة[٤١] ، وكان رابح على رأس احدى هذه المجاميع .

لقد فكر غوردون بفصل مناطق بحر الغزال والمناطق الاستوائية في جنوب السودان عن شماله والحاقها بحكم ليوبولد الثاني ملك بلجيكا (١٨٦٥-١٩٠٩) في الكونغو ، بصفتها افضل الوسائل لمحاربة تجارة الرقيق - بحسب رأيه- وان توضوع كردفان ودارفور تحت ادارة الحكام المحليين ، ثم عدل عن هذه الفكرة وطرح على السلطات البريطانية في القاهرة استدعاء زعيم سوداني كبير هو الزبير رحمة من القاهرة وتنصيبه سلطانا على تلك المناطق مبينا انه الشخص الوحيد الذي له من الجاه والسمعة والقدرة ما يجعله اقدر فرد على ايجاد قوة وطنية يلتف حولها الناس ويمكن استخدامها في صرف القبائل عن المهدي ، وصمم على هذا الحل ،وايده بارنك[٤٢] (اللورد كرومر بعد ذلك) المعتمد البريطاني في مصر ، حيث كتب الى لندن في ٢٨ شباط ١٨٨٤ للموافقة على عودة الزبير للسودان وان يمنح وسام القديسين ميخائيل وجورج الذي يخول حامله لقب (سير) او سيد وعضوية في الامبراطورية البريطانية من درجة فارس ،وان يمنح مبلغا من المال ليستعين به في تدبير شؤون ولايته الجديدة المستقلة عن مصر ، مع منحه راتب سنوي قدره خمسون الف جنيه استرليني لمدة خمس سنوات ، الا ان الحكومة البريطانية رفضت هذا المشروع خوفا من الرأي العام البريطاني الذي كان يقرن الزبير باشا بتجارة الرقيق[٤٣] ، وهذا دليل ىخر على ان تهمة الرقيق التي الصقت به هي تهمة مدبرة من السلطات البريطانية في مصر لابعاده عن السودان خوفا من نفوذه الكبير هناك . غير ان الحقيقة هي ان الزبير هو الذي رفض هذا العرض ، الامر الذي دفع غوردون الى الشك في انه متعاون مع المهدي فنفاه البريطانيون الى جبل طارق في عام ١٨٨٥، ولتوسط حاكم عام السودان (ريكنالت وينكت)[٤٤] سمح له بالرجوع الى السودان عام ١٩٠٣وعاد لمصر عام ١٩٠٩ الى عام ١٩١٢, وظل مقيما في القاهرة حتى سمحت له السلطات البريطانية في مصر فيما بعد بالعودة الى السودان حيث توفي فيها سنة ١٩١٣[٤٥] .

ان هذه الاحداث تشير الى ان شخصية الزبير رحمة منصور لم تكن شخصية عادية ، بل كان حقيقة يمثل الشخصية العربية الاسلامية السودانية الحقة خير تمثيل ، فقد كان يؤمن ايمانا قاطعا بوجوب وحدة وادي النيل (مصر والسودان) ، وكان بحكم ثقافته في ذلك العصر ينظر الى مصر على انها مركزا للوحدة العربية الاسلامية والى الخديوي على انه ممثل لسلطان المسلمين في مصر والسودان ، كما ان عقيدته الاسلامية فرضت عليه ان يقيم حكومة شورية عادلة في المناطق التي تحت سيطرته واجبها توفير الامن والاستقرار لرعاياها . الا ان الصراع بينه وبين

حاكمدار الخرطوم يمثل رمزا للصراع بين العقلية العربية السودانية وبين العقلية المصرية التركية الحاكمة . وفي كل هذه الانجازات الضخمة التي حققها الزبير رحمة كان رابح بن الزبير واحدا من افضل ضباطه المقربين له والذي ساهم بفعالية عالية بتكوين دولة الزبير العربية في بحر الغزال .

لقد حقق الزبير انطلاقا من عقيدته الاسلامية وبشجاعته وبماله الخاص وجيشه المعروف (بالباسنقر) اكبر توسع في القارة الافريقية حصلت عليه حكومة خديوي مصر دون ان تقدم اي دعم له بالمال او السلاح او الرجال ،اذ قدم لها اقليم بحر الغزال الذي كان تحت سيطرته واسقط سلطنة الفور التي كانت قائمة لمدة ثلاثة قرون والتي استعصت على محاولات محمد على لضمها اليه ، الا انها كافأت هذا القائد العربي الفذ بالغدر فوضعته تحت الاقامة الجبرية في القاهرة ورفضت تعويضه باي شيء في مقابل الاموال التي انفقها على حملاته .

اثرت شخصية الزبير هذه تأثيرا عميقا في شخصية رابح حتى ان المتتبع لحياته واساليبه في العمل يجد انها نسخة ثانية من سيرة الزبير وطريقته في تكوين امارته ، ولا غرو في ذلك فقد عامله الزبير ورعاه كأنه احد اولاده ، وعده رابح بمثابة والده حتى انه حمل اسمه واشتهر به فسمي رابح الزبير اكثر مما سمي باسمه الحقيقي. لقد تركت تجربة الزبير رحمة العباسي انطباعاتها الراسخة في شخصية رابح بن فضل الله بكل تفاصيلها حتي اننا لا نجد تفاوتا كبير بين نشوء مملكتي الزبير في السودان الجنوبي ورابح في تشاد حتى بدت الاخيرة وكانها مستنسخة من الاولى .

رابح والاتجاه غربا :

اضطربت الاوضاع في السودان وكثرت الثورات فيه بعد مغادرة الزبير الى القاهرة ، الامر الذي دفع الخديوي اسماعيل الى الاستعانة بالجنرال البريطاني غوردون مرة اخرى ، وعينه حاكمدار السودان باكمله وخوله صلاحيات واسعة حيث تولى مهامه هذه في المدة ١٨٧٧-١٨٧٩ . وفي هذا الوقت بالتحديد كان الزبير باشا يشعر بأن لا حكومة الخديوي في مصر ولا حاكمدار السودان السابق قدرا ما قام به في سبيل مصر ، وها هو الخديوي يمنح ثقته لرجل اجنبي غريب عن البلاد في الوقت الذي حجبها عن ابن السودان المخلص له .

ومنذ مغادرة الزبير السودان اخذ ابنه سليمان يقوم بأعباء والده التجارية كما كان مديرا على بحر الغزال طيلة السنوات التي كان فيها ابيه بمصر ، وعندما تسلم غوردون حاكمدارية الخرطوم منح سليمان رتبة البيكوية وعينه حاكما على بحر الغزال ولكن تآمر عليه الرجال الذين كانوا في خدمة والده فوجدت وشاياتهم طريقها السهل الى مسامع غوردون دون ان يكلف

نفسه عناء التحقق منها فتراكمت الاحقاد في نفسه على الزبير وابنه سليمان[٤٦] ، ولما قامت الثورة في دارفور بقيادة هارون الرشيد في عام ١٨٧٧ ، طلب غوردون من سليمان ان يزحف بقواته من بحر الغزال ليشارك في قمع الثورة في دارفور ، وفي هذه الاثناء كان ادريس ابتر الذي كان يعمل مساعدا للزبير في تجارته ببحر الغزال وهو من قبيلة الدناقلة ، وكذلك السعيد حسين وهو احد قادة السناجق لدى الزبير يواصلان تحريضهما لغوردون على سليمان ، فلما التقى غوردون بسليمان في بلدة دارة امر سليمان ان يعمل تحت امرة ادريس ابتر، كما عين ادريس مديرا على بحرالغزال بدلا من سليمان الذي لم يتقبل هذا الامر بسهولة واعلن احتجاجه عليه ، ولما شعر غوردون بخطأه هذا عاد ومنح سليمان البكوية من الدرجة الثانية ولكن ابقاه تحت امرة ادريس ابتر ، وما لبث الخلاف ان نشب بين ادريس وسليمان في بحر الغزال وارسل ادريس قوة بقيادة شقيقه عثمان ابتر للقبض على سليمان الا ان الاخير انتصر على عثمان وقتله ، وهرب ادريس الى الخرطوم وابلغ غوردون ان سليمان ثار على الحكومة بأيعاز من والده الزبير . لذلك شكل غوردون محكمة عسكرية لمحاكمة الزبير وابنه سليمان غيابيا كما القى القبض على عدد من اقارب الزبير ، واصدرت هذه المحكمة حكما بالاعدام على الزبير وابنه سليمان ومصادرة جميع املاكهما ، وحبس جميع افراد العائلة حتى النساء والاطفال ، وارسل نسخة من هذا الحكم الى الخديوي ليقوم بتنفيذ الاعدام بحق الزبير ، بعد ان قام هو بتنفيذ الحكم بحق اقارب الزبير وممتلكاته .[٤٧]

اثارت هذه الاجراءات دهشة الخديوي اسماعيل الذي كتب الى غوردون يبلغه بانه لايعتقد ان للاب علاقة بالموضوع ، كما انه لايجوز حبس النساء والاطفال دون ذنب ، الا ان غوردون اصر على موقفه وطلب من رومولو جسي الايطالي الذي عينه في ادارة السودان ان يلقي القبض على سليمان ويقتله مباشرة تنفيذا للحكم الجائر الصادر بحقه ،مقابل ١٠٠٠ جنيه مكافأة له ، الا ان جسي لم يتمكن من سليمان لولا ان الزبير كتب لابنه من مصر ينصحه بعدم عصيان الحكومة وتسليم نفسه لها ، فاستجاب سليمان لامر والده وسلم نفسه الى جسي مع اثني عشر رجلا من اقاربه ، فقيدهم جسي وامر بقتلهم جميعا في ١٤ تموز ١٨٧٩[٤٨] . بمقتل سليمان انتهت الثورة في بحر الغزال ، الا ان الحكومة فقدت ثقة الاهالي بها وان سياسة البطش والخيانة التي مارسها غوردون واتباعه الاوربيين جعلت الناس يعتقدون ان تلك الحرب هي حرب يشنها الكفار على المسلمين ، الامر الذي مهد الطريق لانضمام الناس هناك الى الحركة المهدية وانضوائهم تحت لوائها ،كما عمقت الشعور لدى كل ثائرعربي مسلم ان استسلامه الى هؤلاء الاجانب معناه الغدر به ، وهذا ما كان يتوقعه رابح بن فضل الله المشهور برابح الزبير

والذي كان من اعوان الزبير المخلصين له ولابنه سليمان ، والذي كان شريكا لسليمان في ثورته على اجراءات غوردون التعسفية، ولذلك لم يسلم نفسه مع سليمان لجسي بل عبر الحدود الغربية لدارفور في عام ١٨٧٩ وهناك اقام مملكته الواسعة في حوض بحيرة تشاد الجنوبي [٤٩].

حاولت المصادر الاوربية تشويه صور الزبير ثم ابنه سليمان ثم بعد ذلك رابح بن فضل الله بتصويرهم بانهم تجار رقيق وقطاع طرق وما الى ذلك ، ومما قالته عن مقتل سليمان ابن الزبير بان الملازم اول الايطالي جسي قتل سليمان عام ١٨٧٩ اثناء محاولته الفرار مع عدد من قواده[٥٠] ، ومن الواضح ان جسي حاول بهذه الفرية التغطية على جريمته في قتل سليمان ورفاقه بعد ان سلموا انفسهم له ، كما انه اراد النيل من شجاعتهم عندما ادعى بانهم حاولوا الفرار من المعركة ، وهذا يستدعي من الباحث العربي ان يدقق في الروايات الغربية ولا يأخذها على عواهنها . وذكر باحث عراقي في الشؤون الافريقية رواية اخرى مختلفة تماما وغير مدعمة بالمصادرعن موضوع سليمان بن الزبير وعلاقته برابح قائلا:"ولاسباب تتعلق بالصراع مع الأنكليز في السودان ولمتغيرات داخلية ايضا ، انسحب اتباع الزبير وابنه سليمان الى ارض تشاد بعد خسارتهم في احدى المعارك بأرض السودان ، وكان رابح على رأس القوة المنسحبة . اتجه رابح بعد دخوله ارض التشاد الى منطقة وداي ، وعندما خالف سليمان في بعض الامور انفصل عنه واصبح سيد نفسه وزعيما لمؤيديه ومسؤولا عن مصيرهم ، وعمل مدة بالتجارة وبعدها استقر رأيه نحو تكوين امارة عربية ليؤمن لنفسه ولأتباعه الامن والاستقرار والثروة والسلطة وتوريث سلطته من بعد ذلك لابنائه"[٥١].

والحقيقة التي ذكرتها معظم المصادر هي كما رويناها انفا ، فسليمان لم ينسحب بل قتل على يد جسي مع عدد من اعمامه بأمر من غوردون بعد ان سلم نفسه لجسي ، ثم من غير المعقول ان يكون رابح على رأس القوة المنسحبة في الوقت الذي كان يرافقه سليمان خليفة ابيه الزبير وقائد عسكره وحاكم بحر الغزال من بعده ، كما ان المصادر لم تشر الى ان سليمان دخل تشاد وانه اختلف مع رابح في الرأي الا في قضية الاستسلام لجسي.

خرج رابح من ديم الزبير مع ما يقارب الالف رجل من الباسنقر وكانت معهم ٤٠٠ بندقية في تموز ١٨٧٩، واستقر في بلدة بندة حتى عام ١٨٨٠ ثم عاد الى دارفور حيث بايعه اتباعه من القادة والزعماء ومنحوه لقب امير، وفي عام ١٨٨١ حارب سلاطين دار رفاي وهزمهم [٥٢].

حاولت المصادر التاريخية الاجنبية ان تصور رابح بن الزبير بأنه مجرد مقاتل في جيش الزبير انتهز فرصة انحلال هذا الجيش فانشق عنه مع جماعة من اتباعه ليحقق مشروعه الخاص به ، وانه ليس اكثر من تاجر رقيق آخر مثله مثل الزبير باشا فتعطي بذلك للدول الاستعمارية سببا

لمقاتلته والقضاء على مشروعه السياسي في قلب القارة الافريقية ، فهذا المؤرخ بانيكار يقول "اما رابح الذي كان جنديا في الجيش المصري في السودان ، فقد وجد ان من الاجدى له ان ينضم الى الزبير في غاراته من اجل الرقيق . وكان تشتت جيش الزبير هو الفرصة التي ينتظرها رابح ،فتحرك نحو الغرب بجيش صغير قوام تسعمائة وستين من حملة البنادق . وكان يطمح ان يؤسس لنفسه مملكة، وهي غاية نذر لها طاقاته الهائلة ، ومن اجل تحقيقها كان عليه ان يحصل على اكبر قدر ممكن من الاسلحة الحديثة ، وسبيله الوحيد الى ذلك هو اسر الرقيق وبيعهم للتجار، وكان جيشه صغيرا ولكنه مزود بالبنادق الحديثة ، وفضلا عن ذلك كان مقسما الى ألوية ويتولى قيادته وتدريبه جنود محترفون ، وفي عام ١٨٨٣ كان تحت امرته ١٥٠٠ من الجنود المسلحين بالبنادق، واستطاع بهذه القوة ان يهزم جيشا كبيرا سيره اليه سلطان وداي ، واصبح الطريق الى بحيرة تشاد ممهدا امامه ، كما اصبح باستطاعته شن غارات من اجل الرقيق في منطقة واسعة للغاية "[٥٣] .كان هذا التفسير الغربي لتوجه رابح نحو تشاد وربطه بطموحاته الشخصية فقط انما مبعثه النقص الكبير في المعلومات عن حقيقة علاقته الابوية بالزبير ، ثم عدم ادراك حقيقة علاقته القوية بالزبير باشا وابنه سليمان وما عانوه من حكام الخرطوم ولا سيما غوردون والتي كانت الدافع الحقيقي لتوجهه نحو تشاد .

مملكة رابح العربية :

تعلم رابح من تجربته مع الزبير باشا دروسا التزم بها وسار عليها في بناء دولته وهي ان تكوين الدول والامارات ليس مستحيلا لمن يملك القوة والمال اللازمان لذلك مع وجود قيادة شجاعة وفطنة تجيد استخدامهما ، وتعلم رابح من تلك التجربة ان لا امان للاجانب الغرباء الذين لا يتوانون عن الغدر باعدائهم والبطش بهم كما فعلوا مع سليمان بن الزبير ان وجدوا الى ذلك سبيلا. كما تعلم رابح من الزبير باشا درسا آخرا في غاية الاهمية وهو ان اقتصاد الدول ورقيها لا يمكن ان يبنى على التجارة بالانسان الذي كرمه الله تعالى والتي هي اساسا محرمة وفق الشريعة الاسلامية السمحاء ، فضلا عن ان العالم حينذاك حرم هذه التجارة وصار يلاحق من يقوم بها ويزاولها ويرعاها. ولذلك انتهج رابح وسيلة شرعية في التعامل مع الرقيق وهي ان يقوم بشرائهم من التجار ثم يدخلهم في الدين الاسلامي ويعتقهم ليكونوا جنودا مخلصين في جيشه.

التوسع جنوب دارفور ومملكة وداي:

وعلى اية حال كان رابح قد توجه بقواته هذه نحو اراضي قبيلة الازندي مابين عام ١٨٨٠ و١٨٨٤ واسس هناك سلطنة خاصة به ، فقد قام رابح بهجوم على دار كوتي ودار رونقة وكانت هذه المناطق تابعة لمملكة وداي ويديرها السلطان كبرو بن عمر ، ثم قام بعدة غارات في المنطقة الواقعة بين سلامات واوبلنجي ومن ثم توجه نحو بحيرة ايرو ومارس نفوذه في بلاد الجنوب وعلى الاخص في دار سيلا. وفي غضون ذلك وعلى الارجح في اوائل ١٨٨٤ تلقى رابح دعوة من محمد المهدي دعاه فيها الانضمام الى صفوف الحركة المهدية ، وقد استجاب رابح لهذه الدعوة وبدأ يتحرك نحو السودان غير انه ما كاد يبلغ حدود دارفور الجنوبية حتى سمع بخبر وفاة المهدي في ٢٢ حزيران ١٨٨٥ وتولي عبد الله التعايشي الخلافة عندئذ توقف رابح عن السير وقرر الرجوع الى دار كوتي ، ومن مؤشرات قبول رابح الدعوة المهدية اتخاذه راية المهدية راية لجيشه ذات اللونين الاخضر والاسود مطرزا عليها اسم الجلالة[٥٤].الا ان بعض الباحثين ذكر ان رابح لم يرد على دعوة المهدي وتوسع في الجنوب الغربي من دارفور فضم الى ممتلكاته دار رونجا ، وفي عام ١٨٨٧ اتصل الخليفة عبد الله التعايشى برابح بوساطة ابن عمه عثمان آدم ولكن لم تؤد هذه الوساطة الى اي نتيجة [٥٥].

وبحلول عام ١٨٨٩ كان رابح قد نجح في اقامة مملكة على درجة عالية من الاستقرار، وامتد نفوذه الى نهر شاري ، وبتشجيع منه تخلى سلطان دار كومبي عن ولاءه الى ملك وداي' كما ان هذا الملك الذي فكر في ان يعيد سيادته قد تعرض لهزيمة حاسمة[٥٦]، وحتى عام ١٨٩٠تمكن من فرض سيطرته على عدد من المدن الصغيرة التابعة الى مملكة وداي مثل داركوتي ودارتاما ودارسيلا ودارروقا وكريش ودارباندا ، وتقع هذه المدن الى الجنوب والجنوب الشرقي من تلك المملكة واتخذ من مدينة دكوه على ضفاف نهرشاري جنوب بحيرة تشاد عاصمة له ، وفي سنة ١٨٩١ قتل الرحالة الفرنسي بول كرامبل Paul cramp في دار باندا من لدن القبائل التابعة لسلطة رابح الذي استولى على ٣٠٠ بندقية كانت بحوزة القوة التي كان يقودها كرامبل [٥٧].

استيلاء رابح على مملكتي باكرمي وبرنو:

ويشيرهذا العدد الكبير من الاسلحة الى ان كرامبل لم يكن مجرد رحالة اومستكشف وانما مغامر كانت له اهداف عسكرية ضد رابح بن فضل الله ومملكته ، وهذا ما اكده بانيكار بان رابح دخل بالفعل في صراع مع الفرنسيين الذين كانوا يحاولون ربط ممتلكاتهم في شمال افريقيا بممتلكاتهم في غرب افريقيا ووسطها ، وقاد كرامبل حملة من الشمال الى وسط افريقية ولكن

سلطان داركومبي قام بمهاجمة القوة الفرنسية واستولى رابح على اسلحتها وكمية كبيرة من الذخيرة مكنته من تشكيل قوة سار بها نحو وداي لاحتلالها ، الا ان مقاومة اهلها العنيدة اجبرته على التراجع والتوجه نحو الغرب حتى وصل الى مملكة باكرمي سنة ١٨٩٣ فهرب السلطان عبد الرحمن غاورانغ الثاني ولجأ الى القائد الفرنسي اميل جنتيل ووقع معه اتفاقية الحماية الفرنسية على باكرمي سنة ١٨٩٧ ، وتمكن رابح من تأسيس مملكة خاصة به في باكرمي[٥٨].

ويصف لنا صادق مؤيد العظم كيف استولى رابح على باكرمي قائلا :"استولى رابح على اكثر من اربعين امارة في السودان بعد حروب معها وبعد ذلك نزل الى باكرمي وهي من اقسام وداي وفي شهر رمضان سنة ١٣١٠ وبعد حصار مدة خمسة ايام تمكن من الاستيلاء على باكرمي وهي مدينة شيدت على ضفاف نهر كنهر النيل ، وتحيط بها اسوار من كل جانب ، وخلال هذا الحصار تواجد بداخل المدينة عدد يزيد عن العشرين من تجار طرابلس وبنغازي وأوجله وجالو ، وبعد ان احتل باكرمي كتب رسالة الى امير برنو[٥٩] السلطان هاشم[٦٠] (١٨٨٥-١٨٩٣) يقول له: (اما ان تدخل في طاعتي او اتيتك بجيشي) وعندما وجده يماطل ويمتنع جمع جيشه وتوجه الى برنو "[٦١] ، ويضيف العظم تفاصيل اخرى عن احتلال رابح لمملكة برنو قائلا : "كان حاكم برنو خلال شهر ربيع الاول في موقع يبعد مسافة يومين عن مدينته وهو عائد لحينه من بحيرة تابغة ومعه جنوده وتقابل الجيشان ولكن رابحا بدأ الهجوم على خصمه ، وانتظم جيش رابح كالعادة في شكل مربع يتقدمه المشاة وبأيديهم المارتيني والونجستر[٦٢] يلوحون بها ، وانتشرعلى الطرفين صفين من الخيالة ، كانت مقدمة الجيش تتجاوز الالفي جندي ، كان جيش برنو بشكل متجمع وغير منظم ومسلح بأسلحة قديمة ، ومجموعة مسلحة بالرماح والسهام ، واستمرت الحرب ساعتين انتهت بهزيمة جيش برنو وفرّ هاشم واسرته الى محل يسمى منقرية على بعد ثلاثة ايام من برنو حيث جعل منها مركزا ومقرا لجيشه ودولته"[٦٣].

واختلفت رواية المؤرخ بانيكار عن رواية صادق مؤيد العظم بشأن احتلال رابح لمملكة برنو فقال ان رأي سلطان برنو قد استقر على ان الفطنة تقتضي التصدي لرابح قبل ان يستفحل امره ، وكان لديه جيش من ثلاثة الاف مقاتل مسلحين جميعا بالبنادق ، كما كان باستطاعة برنو ان ترسل الى الميدان جيشا يزيد على ذلك بعشر مرات ، لذلك قرر السلطان مهاجمة رابح الا ان رابحا باغته بالهجوم وقد وجد جيش برنو نفسه يخوض في مستنقعات شاسعة ، وبعد ان عرض لقوة وقدرات برنو العسكرية – كما مر بنا انفا – نرى بانيكار يعود ليناقض نفسه فيقول ان هذا الجيش " لم يكن ندا لجيش نظامي يسوده الانضباط ، ووقعت به هزيمة حاسمة على ايدي

رابح"[٦٤] ، ويبدو ان المؤرخين خلطوا بين المعارك التي خاضها رابح ضد الشيخ هاشم وتلك التي خاضها ضد خليفته كيارى ، الامر الذي يشير الى ان رابح خاض ثلاث معارك مع قوات برنو الاولى مع الشيخ هاشم التي انتصر فيها رابح انتصارا ساحقا ، والثانية مع كيارى التي خسرها رابح ثم الثالثة مع كيارى ايضا التي انتصر فيها رابح واحتل مدينة كوكا عاصمة برنو وهذا ما يظهر جليا من سياق الروايات الاتية .

هناك رواية اخرى لما حدث تقول كان الشيخ هاشم يرغب في تجنب القتال مع رابح ولكن ابن اخته المدعو كياري قتل خاله وتولى الحكم بدلا عنه وقاد جيشه متوجها لقتال رابح والتقى الجيشان بالقرب من مدينة كوكا العاصمة عام ١٨٩٤ ، ودارت معركة استمرت يوما كاملا حقق فيها كيارى نصرا على جيش رابح واستولى على معسكره وعامل رجال رابح بوحشية وفي تلك المعركة جرح فضل الله بن رابح جرحا خطيرا ، لكن رابح لم يستسلم واعاد تنظيم قواته وتسليحها وتجهيزها ، وفي الصباح باغت جيش برنو مرة اخرى بهجوم كاسح عجز جنود كيارى عن صده ولم يصمدوا طويلا فتشتتوا تاركين كيارى يواجه مصيره وحيدا ففضل الاستسلام لرابح الذي امر بتنفيذ حكم الاعدام به ، وواصل زحفه نحو كوكا العاصمة فوجدها خالية على عروشها وبدأ بتعميرها بعد ان اخضع بقية اطراف مملكة برنو لسلطانه [٦٥].

وذكر العظم ايضا ان رابح بمجرد احتلاله المدينة امر المنادي ان ينادي بها ان كل شخص آمن وسالم ، ثم دخل الى مكان اقامة الأمير المغلوب وحمل بعض الصناديق وعددها ثلاثة او اربعة ولا تحتوي على اي شيء ذا قيمة كما غنم نحو ٣٠ – ٤٠ مدفعا بلا عجلات ، كما استولى رابح على الاسلحة التي كانت بحوزة التجار الليبيين الذين قدر عددهم بما يزيد عن مائة وخمسين تاجرا ، الا انه لم يمس بضائعهم وفي اليوم الثاني استدعى رابح هؤلاء التجار وسألهم عن سبب تورطهم في هذه الحرب وهم اجانب في ديار الغربة ؟ فاجابوه ان حاكم المدينة اجبرهم على ذلك وانصاعوا له مكرهين ، فقبل منهم هذا التسويغ وطمأن نفوسهم وعفا عنهم ، ويؤكد العظم بانه سمع هذه الرواية شخصيا من عدد من الاشخاص الذين حضروا هذه الواقعة وشاركوا فيها مثل محمد بن رحال ومحمد حورية ومحمد زقلام ومحمد بن سالم الفيلالي والحاج عبد الله بن الاشهر ولم يكن هناك اي اختلاف او مبالغة في رواية هؤلاء التجار كما نقل عنهم شخصيا . وذكر ان رابح بعد ان اعاد تنظيم جيشه ، طلب من اهالي برنو الرحيل وحذرهم ان من سيتخلف ستصادر امواله ، وأدى ذلك الى ارتفاع اجورالنقل اذ وصلت الى مائة ريال لكل جمل مما دفع الكثير من التجار الى الاكتفاء بما خف حمله وغلا ثمنه مثل ريش النعام وسن الفيل وكدست بقية البضائع الثقيلة امام خيمة رابح ، وبعد ان امضى شهرين في برنو اتجه الى

مدينة دكوه التي تبعد مسافة ستة ايام من برنو وتقع على ضفة احد الانهار وهي افضل من برنو لنقاء وصفاء مائها وهوائها وقد اتخذها رابح عاصمة له ، وصحبه الى دكوه عدد من التجار الليبيين الذين حظوا بعطف ورعاية فائقة منه وكان يقابلهم في اي وقت يريدون ، وعندما طلبوا منه تصريحا بالسفر والعودة الى بلادهم اجابهم الى ذلك واغدق عليهم الهدايا مثل الجواري والجمال لنقل بضائعهم وارسل معهم رجالا لحمايتهم حتى وصلوا الى وداي حيث اعتقد سلطانها انهم يميلون الى رابح ومن اتباعه او جواسيسه فسلب اموالهم وسبى جواريهم ونهب تجارتهم ، فعادوا الى بلادهم وهم في حالة يرثى لها .[٦٦]

لقد حاول الرحالة الاوربيون ومنهم فرانشيسكو كورو ان يصوروا احتلال رابح لبرنو وقيام مملكته هناك بأنه سببا في تدهور تجارة طرابلس مع برنو ويقول ان تجارة العاج انهارت في اعقاب غزو رابح لبرنو ما بين عامي ١٨٩٢و ١٨٩٣ .[٦٧] كما قال الباحث جونسون مارينو Johnson Mario الذي نشر بحثا بعنوان " التجارة بين طرابلس وكانو بعد عام ١٨٨٠ " في مجلة تاريخ افريقيا Journal of African History عام١٩٧٦ ، بان تجارة ريش النعام التي ازدهرت في ثمانينيات القرن التاسع عشر قد تضاءلت بعد عام ١٨٩٣ نتيجة لاحتلال رابح بن الزبير لتشاد.[٦٨] ، الا ان ما ذهب اليه هؤلاء تنفيه شهادات التجار الليبيين انفسهم الذين عاصروا رابح وتعاملوا معه مباشرة ، فقد ابلغ بعض التجار الليبيين الذين كانوا يتاجرون مع مملكة رابح ، مؤيد العظم خلال رحلته الى الصحراء الليبية بأنه كان يعاملهم بكرم واحترام ، وانهم دائما يجدون ما يطلبونه منه بسهولة ودون عراقيل ، وانه ساعد في احدى المرات احد التجار في الحصول على مئتين وخمسين من الرقيق ، وقد التجأ اليه تاجر آخر لمساعدته في الحصول على مئتي راس من الغنم ، وآخر على خمسين رأسا من الابقار فساعدهم على ذلك[٦٩] ، واكد العظم ان احد التجار العرب الذين التقاهم في رحلته الصحراوية ابلغه انه قابل ابي بكر وهو من خواص وقادة رابح فقال له "اننا عندما نعود الى بلدنا سنفتح طريق التجارة وترجع القوافل كما كانت تحمل البضائع من والى السودان ، ستكون اراضينا وطرقنا مفتوحة ومن اراد ان يتاجر فله ذلك بكل حرية " ولم يكن مثل هذا الكلام ليصدر عن انسان ساذج او جاهل في قواعد ادارة الدولة والاقتصاد وانما لاينطق بمثله الا رجل دولة من الطراز الاول . واضاف هذا التاجر قائلا : ان هدف رابح انذاك ان يضع تحت يديه سوكوتو والسودان (الغربي) وهو الان على اتصال ومخابرة مع اولاد سليمان[٧٠] الموجودين بأراضي التبو وقاورا ، واماله قوي بفتح الطرق التجارية كما كانت سابقا .[٧١]

بعد ذلك بعث رابح برسائل الى سلاطين كل من زندر[٧٢] وكانو[٧٣] وسوكوتو[٧٤] وهي من اكبر المراكز الاسلامية في السودان الاوسط طالبا منهم الدخول في طاعته وقد قبلوا كلهم ذلك وفي تلك الاثناء افاد شهود عيان من التجار الليبيين اللذين كانوا يقيمون في دكوه ان سالم حياتو وهو بن اخ سلطان سوكوتو وهو من العلماء وافاضل القوم فيها ،وصل الى دكوه ربما مبعوثا من عمه فاكرم رابح وفادته كما هي عادته ، وقربه منه وجعله مستشارا له [٧٥].

بعد هذا الانتصار سعى رابح الى بسط سيطرته على معظم انحاء سلطنة برنو ، ففي عام ١٨٩٣ هاجم نغوليوا واحتلها وفي العام التالي فتح امارة دايباني ، وفي عام ١٨٩٦ سقط الحصن الاخير في مقاومة برنو بأحتلال مقاطعة بيدي الوثنية[٧٦] . وبذلك كون رابح مملكة كبيرة شملت معظم الاجزاء الجنوبية من تشاد الحالية ، وقد اظهر قدرة وكفاءة في ادارتها .

كرس رابح جلّ وقته لتنظيم امبراطوريته فسمح للرئيس المحلي بالاستمرار في ممارسة سلطاته ، ولكنه منح الضباط الذين يعينهم سلطة الرقابة على اعماله واعاد تنظيم تحصيل الضرائب ، وحدد المبالغ التي يتعين على كل مقاطعة ان تدفعها ، وزاد قوة الجيش الى خمسة الاف مقاتل ، ونظمه في وحدات تظم من ١٥٠ – ٢٠٠ جندي، ووضع خططا للحملات المقبلة عن طريق تخزين مؤونة كافية . ويقول بانيكار لو ان رابح اتيح له الوقت الكافي لتمكن من تحطيم قوة امراء البرنو وتأسيس ملكية عسكرية تعتمد على ادارات محلية ، ولامكنه ايضا اخضاع مملكة الفولاني التي سادها الذعر بالفعل من قوته[٧٧].

وكان رابح يقوم بعد الحروب بحجز كل الغنائم والاموال والاسلحة والعملة المسكوكة وغير المسكوكة من معادن ثمينة الى نفسه شخصيا ، اما البضاعة والحيوانات وما اليها فنصفها له والنصف الاخر يقوم بتوزيعه على الجنود وعلى المقربين منه ، وأحيانا يوزع كل الغنائم على من ابدى شجاعة وبطولة خلال الحرب تشجيعا ومكافأة له ، وينتشر جواسيسه في معظم الممالك في وسط افريقية ، وحالما يحدث شيء مهم فانهم يبلغونه باسرع وقت ممكن اذ يستعملون جمال الهجن لتنقلهم السريع هذا . واذا اراد رابح ان يستولي على مملكة او مدينة ، فأنه اولا يرسل الى حاكمها رسالة يطلب منه التسليم ، فاذا امتنع فعليه ان يستعد للحرب ثم بعد ذلك يهاجمه ليحتل مملكته[٧٨] .

جاء في تقرير لوزارة المستعمرات البريطانية مؤرخ في ٣٠ كانون الاول ١٨٩٤ : كان رابح يمثل السلطة العليا التي تصدر الاوامر والقوانين وبلغت مساحة امبراطوريته نحو ١٥٠الف كيلومتر مربع وتضم اكثر من خمسة ملايين نسمة ، واتسم نظام الحكم في دولته باللامركزية ، وظل رابح يحمل لقب امير الذي حمله منذ عام ١٨٨٠ ، ومنح حكام المقاطعات ورؤساء الالوية

والنبلاء سلطة ادارية على ان يحاسب كل واحد منهم امام مجلس استشاري يتولى هو رئاسته شخصيا ،اما السلطة القضائية في دولة رابح فكانت مدنية يتولاها الفقهاء الذين يعينهم حكام المقاطعات ، ويرتكز القضاء على الشريعة الاسلامية ولم يتدخل رابح في شؤون القضاء الا في حالات استثنائية.اما موارد الدولة فكانت تعتمد على الغنائم والغرامات والزكاة والاموال المصادرة وعلى تجارة الرقيق احيانا والعاج وريش النعام وضريبة الرأس [٧٩].

رابح ومحاولات الاحتواء البريطانيه:

اسست بريطانيا اربع شركات تجارية في افريقيا بعد سيطرتها على ميناء لاكوس النيجيري في عام ١٨٥١، وهذه الشركات هي: الشركة الافريقية في الشمال والشركة الشرقية في الشرق والشركة الغربية في الغرب وشركة بورينو للتجارة في الشمال الشرقي ، وعلى اثر المنافسة الالمانية والفرنسية اندمجت هذه الشركات الاربع في شركة واحدة هي الشركة الافريقية المتحدة وذلك في عام ١٨٧٩ برئاسة جورج كولدا George Kolda (١٨٤٦-١٩٢٥) الذي زار نيجيريا سنة ١٨٧٧، وفي عام ١٨٨٦ اعلنت الحكومة البريطانية تأسيس شركة النيجر الملكية بدلا من الشركة الافريقية المتحدة ومنحها صلاحيات واسعة كالادارة وعقد المعاهدات وفرض الضرائب وشؤون التجارة في جميع اقاليم حوض النيجر ، وبسبب المشاكل التي نشبت بين هذه الشركة والدول الاستعمارية الاخرى المجاورة لها وكذلك مع القبائل الافريقية قررت الحكومة البريطانية عام ١٨٩٩ ان تتولى بنفسها الامر في نيجيريا فاشترت حقوق شركة النيجر الملكية ودفعت لها تعويضا مجزيا عن جهودها هناك[٨٠]. وهكذا اصبحت مصالح بريطانيا لا تبعد كثيرا عن دولة رابح فكان من مصلحتها مد الجسور معه وعدم الاصدام به .

حاول رابح ضمان مساعدة بريطانيا له ضد التغلغل الفرنسي في المنطقة وقطع لها العهود بعدم التعرض لمصالحها من خلال الاتصالات التي اجرها مع ممثل شركة النيجر الملكية (البريطانية) وخلال الاعوام ١٨٩٤-١٨٩٥ طالب رابح باستمرار ممثل الشركة ان يزوده بالبارود ، وعندما لم يجد منه استجابة لجأ الى استخدام التهديد ضده حتى آلت الامور الى قطع جميع العلاقات بينهما عام ١٨٩٦ ، ومنذ عام ١٨٩٧ بدأ بالتقدم نحو مملكة كانو المقاطعة الاكثر اهمية في امبراطورية الفولا الا ان البريطانيين اقنعوه بالتراجع [٨١]، وربما كانت هذه المحاولات هي الوحيدة التي جرت بين الطرفين لبناء علاقات تعاون مشترك فرضتها مصالح الطرفين للوقوف بوجه التوسع الفرنسي في ذلك الجزء من افريقيا .

تحدث العظم عن علاقة رابح بالدول الاجنبية فقال :" سألت بعض الافراد الذين قابلتهم عن رابح وما اذا كان على صلة بأية دولة اجنبية بشكل علني او سري ؟ واذا كان يستلم اية مساعدة من

اية جهة اخرى ؟ فكان رد الجميع انه ليس له اي اتصال او مخابرة بجهات اخرى ، كما انه لايستلم اي عون من خارج حدود مملكته ، وليس هناك اي مجال حتى للشبهة في هذه الاتصالات ، حيث ان بعض الجواسيس حاولو معرفة ذلك ولم يجدوا اي شيء " [٨٢] وهذه شهادة للتاريخ على اخلاص رابح لدينه وامته .

بعد ان اقام رابح دولته على اسس الشريعة الاسلامية اعلن انه سيشن حربا جهادية ضد الاجانب "الكفار"وضد القوى التي تتحالف معهم ضده[٨٣] ، وحاولت بريطانيا وفرنسا تحسين العلاقات معه خشية الدخول في صراع معه قد لا يكون في صالحهما ، وكانت بريطانيا اكثر اهتماما بذلك من فرنسا ، اذ كانت فكرة الدخول في علاقات طيبة معه قد اثارها السير ايفلن بارنج Evelyn Baring(اللورد كرومر فيما بعد) المعتمد البريطاني في مصر ، في رسالة بعث بها الى اللورد روبرت سيسل ماركيز سالسبوري[٨٤] رئيس وزراء بريطانيا حينذاك في حزيران١٨٩١ الا ان سيسل لم يعرها اهتماما ، وفي عام ١٨٩٤ حاولت بريطانيا الاستعانة بالزبير رحمة الذي بعث برسالتين الى رابح في ٤ نيسان ١٨٩٦ وقعت احداهما بيد السلطات العثمانية في طرابلس بينما وصلت الاخرى الى رابح الذي رد عليها معلنا استقلاله عن الزبير باشا ،وفي آب ١٨٩٨التقى الكولونيل ريكنالد وينكت بالزبير باشا وابلغه انه تلقى رسالة من احد اتباعهم في بنغازي وكان قد وصل توا من دكوه افاد فيها ان رابحا انكر كل معرفة له بالزبير ، وانه احتجز ثلاثة من رسل الزبير واعدمهم واكد ان لا علاقة له بالاوربيين الا الحرب [٨٥].

في ٨شباط ١٨٩٩ بعث اللورد فردريك لوجارد[٨٦] Fredrick Lugard برسالة الى وزارة المستعمرات البريطانية تقريرا عن رابح جاء فيه :

١- عدم الالتحام المباشر مع رابح فضل الله ومحاولة الاستفادة منه ، وذلك لان الحملات الفرنسية والالمانية سوف تلتحم مع قوات رابح على بحيرة تشاد ، ومن المحتمل ان يضطر رابح الى التوجه شرقا ، ومن ثم تنقطع اتصالاته بمناطق النفوذ البريطانية .

٢- وعورة المنطقة وبعد المسافات وقلة القوة البريطانية في غرب افريقيا مما يصعب الدخول في صراع مع رابح وجيشه القوي ، ويمكن ان يحمل البريطانيين خسائر كبيرة في الارواح والاموال لاسيما شركة النيجر.

٣- ان طرق التجارة القادمة من طرابلس وحوض البحر المتوسط ومن حوض النيل والسودان تلتقي كلها عند بحيرة تشاد ، وبالتالي يمكن تطوير هذه التجارة لصالح البريطانيين وعرقلة جهود الفرنسيين باقامة تجارة نشطة مع رابح .

٤- ان مناخ منطقة النيجر يعد مقبرة للرجل الابيض والتالي يصعب المغامرة بارسال اعداد كبيرة من البريطانيين .

ان توصيات لوجارد تعني عدم الاحتكاك مع قوات رابح ، والانتظار حتي يدخل رابح في حروب مع الدول الاخرى وبالتالي القضاء على نفوذه دون ان تتكبد بريطانيا اي خسائر في الارواح او الاموال .[٨٧]

مقاومة رابح للغزو الفرنسي :

يقول مؤرخ تاريخ افريقيا جوزيف كي زيربو ان رابح كون لنفسه مملكة واسعة يدافع عنها جيش حسن التنظيم والتجهيز مؤلف من خمسة وثلاثين الفا من الرجال [٨٨] . ومع تحفظنا على هذا الرقم الذي ربما بالغ فيه زيربو الا ان رابح بدأ يشكل بالفعل خطرا ليس على المشاريع الاستعمارية في السودان الغربي ووسط افريقيا فحسب ، بل حتى على بعض الامارات الاسلامية المهادنة للاستعمار او المتعاونة معه ، ولذلك فان اعداء رابح من الملوك والامراء المسلمين الذين اطاح بهم سرعان ما وجدوا في الزحف الفرنسي المنقذ الذي سيخلصهم من رابح وقوته . ففي عام ١٨٩٢ التجأ سلطان باكرمي عبد الرحمن غاورانغ الى بلاد نهر الشاري السفلى ثم التجأ سنة ١٨٩٤ الى سلطان مملكة وداي ، ولم تفلح محاولات محمد المهدي السنوسي للتقريب بينهما ،وكان من السهل على الفرنسيين استمالة هذا السلطان المخلوع اليهم والتحالف معه ضد رابح ، فوقع معاهدة حماية مع القائد الفرنسي اميل جنتيل عام ١٨٩٧ وحذا حذوه ايضا كل من سلطان وبري وسلطان جفرا [٨٩]. وبعد ان احتل رابح مملكة برنو ودخل عاصمتها كوكة ظل سلاطينها المخلوعين يناصبون رابح العداء ، كما ان رابح كان في عداء مستحكم مع سلطان زندر الذي رفض ان يدفع له الاتاوة التي كان يدفعها الى سلطان برنو السابق . هيأت هذه الاجواء الظروف المناسبة ليقوم الفرنسيون بحملاتهم لاسقاط مملكة رابح والقضاء عليه .

في تلك الأثناء تمكن الفرنسيون من تعزيز وجودهم في السنغال والونغو وشمال نهر النيجر واحتلوا تمبكتو في كانون الثاني ١٨٩٤ ، وهكذا ادرك رابح ان صدامه مع الفرنسيين الذين اخذوا يقتربون من حدود مملكته آت لامحالة .وفي منتصف حزيران ١٨٩٩ وصلت قوة فرنسية بقيادة بريتونيه الى كانوا تساندها قوت تابعة غاورانغ سلطان باكرمي السابق ، فتقدم نحوها رابح بقوة كبيرة صاعدا نهر الشاري حتى وصل الى كانو فانسحب بريتونيه مع القوات المتحالفة معه الى مكان اخر واتخذوا منه موضعا دفاعيا ، الا ان رابح ما لبث ان اوقع به وبحليفه هزيمة ساحقة في ١٧ تموز ١٨٩٩ قتل فيها بريتونيه وتم اسر غاورانغ مع اعداد كبيرة من جنوده [٩٠]

وضع الفرنسيون خطة جديدة للقضاء على مملكة رابح واحتلال حوض بحيرة تشاد حشدوا لها قوة كبيرة من العدد والعدة ، فانطلقت الحملة الاولى من اوبانقي شاري بقيادة اميل جنتل لمهاجمة قوات رابح في اقصى الجنوب والاستيلاء على ضفاف نهر الشاري ،ولوجون ، وتحركت القوة الثانية من النيجر بقيادة جولاند وماينير لاحتلال الضفاف الغربية لبحيرة تشاد ، وتحركت الحملة الثالثة من النيجر بقيادة فولييه وشنوان وتعرف تلك الحملات بحملات بعثة افريقيا الوسطى وبعثة شاري والبعثة الصحراوية .وفي ٢٨ تشرين الاول هاجمت قوات اميل جنتل قوات رابح للمرة الثانية ودارت بين الجانبين اعنف المعارك استمرت ثلاثة ايام متوالية تكبد فيها الطرفان خسائر كبيرة وابيدت اغلب قوات رابح وفقد افضل قادة جيشه الذين استشهدوا في ميدان المعارك مثل احمد بن ابراهيم قائد اللواء الثامن والعشرين ، وارباب ابو بكر وعثمان بن شاكر وادت تلك المعارك الى انسحاب رابح من كانو الى دكوه ، وهناك استمر في اعادة تنظيم قواته استعدادا للمعركة القادمة .(٩١)

دفعت شدة المقاومة وشجاعة المقاتلين في قوات رابح بالرغم من الخسائر الكبيرة التي تكبدتها ، اميل جنتيل الى ان يطلب تحريك قوة عسكرية فرنسية من الجزائر بقيادة العميدين كوورو و لامي ، وقد التقت هذه القوة مع القوة التي كان يقودها جولاند ماينير عند بلدة جولفي ، وفي نهاية اذار سنة ١٩٠٠ تحركت القوتان للمشاركة في حصار قوات رابح مع قوات اميل جنتيل ، وفي ٢٢ نيسان هاجمت القوات الثلاثة قوات رابح حيث دارت معركة فاصلة في لخته انتهت باستشهاد رابح ومقتل القائد الفرنسي لامي(٩٢)، فقطع الفرنسيون رأس رابح ورفعوه على السيف وداروا به في شوارع دكوه ، الا ان المقاومة العربية لم تنته عند هذا الحد فقد تزعمها هذه المرة ابنه فضل الله ، ولكن الفرنسيين لم يمهلوه طويلا فاستمروا بملاحقته حتى استشهد في العام التالي ، وبذلك انتهت المقاومة العربية للغزو الفرنسي التي قادها رابح بن فضل الله واولاده في حوض بحيرة تشاد .

لم تنتهه المقاومة العربية في تشاد باستشهاد رابح بن فضل الله السوداني سنة ١٩٠٠ ، بل افرزت الساحة الافريقية مقاومين جدد وحركات ثورية عربية جديدة تلمست الخطرالاستعماري الداهم الزاحف نحوهم من كل اتجاه بأفريقيا ، وبالرغم من ان بعض المؤرخين ومنهم الدكتور محمد فؤاد شكري مؤرخ الحركة السنوسية علل خروج زعيم الحركة السنوسية انذاك بظهور مملكة رابح في تشاد قائلا ان اكبر ما كان يخشاه " السيد المهدي ازدياد سطوة رابح لدرجة تلحق الوهن بالامارات العربية الاسلامية حول بحيرة تشاد ، فلا تستطيع مقاومة خطر اشد

واقسى كان يتهدد سلطنة رابح والسنوسية والامارات الاسلامية جميعا هو خطر الفرنسيين الزاحفين على هذه الاقطار يريدون امتلاكها"[٩٣].

ويبدو ان نشاط رابح في جنوب بحيرة تشاد كان يكتنفه الغموض بالنسبة للحركة السنوسية ، الا انه بالتأكيد لم يكن يشكل الخطر الاكبر عليها كما هو الحال بالنسبة للخطر الفرنسي ،وبالتالي ان ما ذهب اليه شكري انفا ربما كان نابعا من تأثره بالمصادر الغربية التي تناولت نشاط رابح في ذلك الجزء من تشاد ، ومن خلال ما كتبه شكري نستطيع ان نتلمس الارتباك والتناقض في عرضه لهذا الموضوع ،فيقول مثلا :" كان طبيعيا ان يلمس السيد المهدي هذه الاخطار جميعا ويبذل الجهد لتوقيها ، واستطاع بحكمته ان يحفظ نفوذ السنوسية كعامل من عوامل السلام في هذه الاقطار التي كان يهددها رابح بغزوه بين حين وآخر ، وكان مما ساعد على دعم نفوذ السنوسية في برقو[٩٤] ووداي وغيرها ان رابح نفسه ، منذ ان أطمأن الى ملكه الجديد ، طفق ينشيء الصلات الودية مع الامارات الكبيرة المجاورة ، وصار يهمه ولا ريب الا يشتبك مع السنوسية في منازعات خطيرة ، لبعد مركزه عن مقر السنوسية ومكمن قوتهم من جهة ، ولأن توسعه كان يجري نحو الغرب على شواطئ بحيرة تشاد الجنوبية والغربية في مملكة برنو خصوصا " .[٩٥]

كانت مملكة دكوة التي اسسها رابح في تشاد تمثل الخط الدفاعي الاول عن الامارات العربية شرق بحيرة تشاد ضد التغلغل الفرنسي ، وقد ادى انهيار هذه المملكة الى المواجهة المباشرة بين الحركة السنوسية ومملكة وداي وبين الفرنسيين ، ففي كانون الثاني ١٩٠٢ اعلن الفرنسيون عن نواياهم باستيلائهم على زاوية بير العلالي احدى اهم القواعد السنوسية على مسافة ١٥٠ ميلا فقط شمال بحيرة تشاد بعد مقاومة شرسة من السنوسيين ، الامر الذي دفع الزعيم السنوسي احمد الشريف الى نقل مقر الحركة من قرو الى الكفرة . اما في وداي فقد تمكن محمد صالح المعروف بدود مورا[٩٦] من انتزاع الحكم من احمد الغزالي واسره واعدامه سنة ١٩٠٢ وقد استمر حكمه حتى سنة ١٩٠٩ ، حاول الفرنسيون خلالها من اتخاذ موقف دفاعي نحو وداي حتى يتم لهم القضاء على مقاومة السنوسيين واتباع رابح ، ومع نهاية عام ١٩٠٧ قرروا التحرك الى الامام نحو اراضي مملكة وداي حتى وصلوا الى مسافة ١٠٠ ميل عن ابيش عاصمة وداي ، وفي اواخر عام ١٩٠٩ تحرك رتل فرنسي نحو العاصمة ابيش التي سقطت بايديهم في ٢حزيران ١٩٠٩ وهرب دود مورا الى الشرق[٩٧]، وهكذا ترتبت نتائج وخيمة على سقوط دولة رابح حيث اصبح المجال مفتوحا اماما الفرنسيين للتوسع في مناطق وسط افريقيا جنوب الصحراء.

ختاما اصبح رابح بن فضل الله تلك الشخصية العربية القادمة من اعماق السودان ، واحدا من اهم رموز النضال الوطني التحرري في تاريخ تشاد المعاصر ، فلم يغفل التشاديون ذكره في اهم وثيقة لديهم الا وهي دستور تشاد المكون من ٢١٣ مادة ،الذي اشاد به وكان الاسم الوحيد الذي ورد ذكره فيه ، اذ جاء في فصل الاسس السياسية والمباديء الدستورية من ذلك الدستور :" ما اكثر الذين وقفوا في وجه دخول الاستعمار الى البلدان التشادية ، غير ان رابح هو اشهرهم على الاطلاق ، وهو الذي تصدى للحملات العسكرية الفرنسية"(٩٨). وجاء هذه الاعتراف الرسمي بفضل رابح في تكوين دولة تشاد العربية اواخر القرن التاسع عشر انما هو اقرا ر للحقيقة واحتراما للتاريخ الذي لا ينسى ابدا اولئك الذين صنعوه بجدارة .

الهوامش:

١-شوقي الجمل ، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ط٢ ، ١٩٨٠) ص٤٠٩ .

٢- جلال يحيى، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ، (الاسكندرية: ، ١٩٩٩) ص٣٨٨-٣٨٩ ؛

د. سعيد عبد الرحمن احمد الحنديري ، تطور الحياة السياسية في تشاد منذ الاحتلال الفرنسي حتى نهاية حكم تمبلباي ، (طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ط١، ١٩٩٨) ص٤٦ .

٣- رونالدو اوليفر وانتوني اتمور ، افريقيا منذ علم ١٨٠٠، ترجمة فريد جورج بوري ، مراجعة عبد الله عبد الرزاق ابراهيم (القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة ، ٢٠٠٥) ص١٥١-١٥٢ .

٤- عبد الرحمن تشايجي ، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى ، ترجمة علي اعزازي ، (طرابلس : مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ، ط١ ، ١٩٨٢) ص١٣٤ .

٥-المرجع نفسه ، ص١٤٣ .

٦- احمدو شيخو بن الحاج عمر :اسس والده الحاج عمر(١٧٩٧-١٨٦٤)مملكة واسعة ضمت اليها تمبكتو وماسنة والفوتاتورو وهو من اتباع الطريق التيجانية ، قضى الفرنسيون على مملكته عندما حاول اولاده مد سلطانهم الى شمال وادي النيجر ، وعندما قام الحاج عمر بحملته على ماسنه اوكل الى احمد شيخو امور المملكة وجعله خليفة له على اتباع الطريقة التيجانية، فتزعم احمدو شيخو (او الشيخ احمد) حركة الجهاد ضد الفرنسيين بعد وفاة ابيه عام ١٨٦٤ ، وخاض حربا بلا هوادة ضد الخارجين عليه ، وثار ضده بعض افراد الطريقة التيجانية غير معترفين بسلطته الدينية عندما اتخذ لنفسه لقب امير المؤمنين ، توفي احمدو شيخو سنة ١٨٩٨ . ينظر: ك. مادهو بانيكار ، الوثنية والاسلام -تاريخ الامبراطورية الزنجية في غرب افريقية ، ترجمة احمد فؤاد بلبع ،(المجلس الاعلى للثقافة ، ط٢ منقحة ، ١٩٩٨) ص٢٧٢.

٧- الشيخ ساموري : هو احمد ساموري توري جد الرئيس الغيني السابق احمد سيكوتوري ، تزعم الحركة الاصلاحية التي نهضت في جنوب سنغامبيا واخذت طريقا مماثلا لحركة الحاج عمر وبلغت حركته ذروتها عام ١٨٨١ حيث تمكن الاستعمار الفرنسي من قمعها بعد ان خاض ساموري ضده نضالا طويلا ومريرا ، واشتهر بالقدرة العسكرية والتقوى الدينية قضى على الشعوذة والسحر والمعتقدات الوثنية وشجع الاقبال على المدارس . المرجع نفسه ، ص٢٧٩.

٨- سعيد الحنديري ، المرجع السابق ،ص ٤٧.

٩- جون هانتش ، تاريخ افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية ، ترجمة عبد العليم السيد منسي ، (القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٧١) ص١٢.

١٠- جان-باتيست مارشان (Jean-Baptiste Marchand (1863- 1934 جنرال ومستكشف فرنسي لأفريقيا. أُرسل إلى المدرسة العسكرية في سان ميكسان Saint- Maixent شمال شرقي بوردو، حيث تخرج فيها عام ١٨٨٧ ضابطاً برتبة ملازم.عُيّن مارشان في الخدمة الفعلية في مستعمرة السنغال الفرنسية غربي إفريقيا عام ١٨٨٩، وأصيب بجراح بالغة عند الاستيلاء على بلدة ديينا Diena من أعمال مالي حالياً منح وسام جوقة الشرف Légion d'honneur من رتبة فارس، وشارك في العمليات التي أدت إلى توسع فرنسا في أفريقيا الغربية والاستوائية واستكشاف منابع نهر النيجر في عام ١٨٩٠، والتوسع في المناطق الشمالية من ساحل

العاج، والاستيلاء على تمبكتو Timbuktu من أعمال مالي، ومن ثم على أراضٍ واسعة وصولاً إلى بحيرة تشاد.في عام ١٨٩٨ عيّنته القيادة الفرنسية قائداً لحملة الكونغو–النيل، التي هدفت إلى التوسع والوصول إلى السودان المصري قام مارشان في مطلع ١٨٩٨، بمسيرة طويلة انطلاقاً من برازاڤيل Brazzaville في الكونغو الفرنسي باتجاه فاشودة Fachoda ، ولدى وصول الحملة إلى فاشودة قام مارشان برفع العلم الفرنسي عليها. مما سبب نزاعاً حاداً مع بريطانيا التي كانت تنظر إلى وادي النيل على أنه منطقة نفوذها، وأظهر وزير خارجية فرنسا ديلكاسه Delcasséكياسة رشيدة، فأمر مارشان بالانسحاب من فاشودة، فتحول مارشان إلى بطل وطني لدى عودته إلى فرنسا. وعندما نشبت ثورة الملاكمين (البوكسرز) في الصين عام ١٩٠٠ ارسل الى هناك على راس قوة فرنسية لقمع هذه الثورة مع القوة الاوربية التي تشكلت لهذا الغرض.مع بدء الحرب العالمية الأولى عُيّن في قيادة فرقة المستعمرات التي خاضت معارك على اتجاهات متعددة ،.احيل مارشان على التقاعد في عام ١٩١٩ توفي عام ١٩٣٤ودفن في باريس. موقع المعرفة على الرابط: www.m arefa.org

١١– هوراشيو هربرت كتشنر أو اللورد كتشنر (٢٤ يونيو ١٨٥٠ بأيرلندة – ٥ يونيو ١٩١٦) بدأ كضابط بسلاح المهندسين الملكي ثم عين حاكماً على المستعمرات البريطانية بمنطقة البحر الأحمر في عام ١٨٨٦ م ومن ثم أصبح القائد الأعلى للقوات المسلحة بالجيش المصري في عام ١٨٩٢ م.قاد كتشنر حملة الغزو الثنائي (البريطاني – المصري) على السودان عام ١٨٩٨م والتي تصدت لها قوات المهدية في معركة كرري الشهيرة والتي أسفرت عن نهاية الدولة المهدية. وقام بقصف قبة المهدي بأم درمان.قام بإخراج جثة محمد احمد المهدي وتمزيقها واخذ جمجمة المهدي وارسالها إلى بريطانيا انتقاما مما فعله المهدي بغوردون وحاميته. ومنع الصلاة والأذان لعاميين متتاليين في أم درمان عاصمة الدولة المهدية.في عام ١٩٠٢م عاد إلى بريطانيا وأنعم عليه بلقب "نبيل" وعين قائداً أعلى للقوات في الهند. وهنالك انضم لتنظيم الماسونية العالمية وأسس رابطة كتشنر بها. غادر الهند في عام ١٩٠٩ م وحاز على لقب مارشال وعمل قنصلاً بمصر وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى استدعي إلى بريطانيا ليعمل سكرتيراً لشئون الحرب. .توفي عام ١٩١٦ إثر تحطم وغرق سفينة كانت تقله إلى روسيا بواسطة لغم ألماني.حين اسس كلية غوردون التذكارية بالخرطوم ومدرسة الطب وسميت باسمه تخليدا لدوره في استعمار السودان ثم تم تغيير الاسم الي جامعة الخرطوم بعد استقلال السودان. من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

١٢– عبد الرحمن تشابجي ، المرجع السابق ، ص١٥٨ .

١٣– مملكة وداي : في سنة سنة ١٦٣٥، تحرك عبد الحكيم الذي قاد مجموعة تجمعات إسلامية قبلية في تشاد مؤسسا سلطنة وداي ليكون أول سلاطينها. تقع وداي في شرقي تشاد اسسها قوم من بني هلال يطلق عليهم اسم شعب التنجور بعد ان هاجروا من تونس الى طرابلس ثم الى فزان وتوجهوا نحو بحيرة تشاد ، وتمكن صالح بن جميع الذي ينتسب الى الاسرة العباسية حيث رحل الى جبل ابي سنون وكان سكانه وثنيين فاسلموا على يديه واقاموه حاكما عليهم فبنى مدينة وارا واتخذها عاصمة لملكه ،وداي وسلاطينها يرتبطون بعلاقات متينة بالحركة السنوسية في برقة التي ساندتهم ودعمتهم في مواجهة الاستعمار الفرنسي لأكثر من خمسين عاما وتعرضت المملكة الى الغزو الخارجي مرات متعددة كان من اهمها غزو الفور سنة١٨٣٣ وغزو رابح بن فضل الله سنة ١٨٩٢ وغزو الفرنسيين من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩١٢ الذي ادي الى انهيار المقاومة الاسلامية لذلك الغزو بقيادة محمد صالح دود مرة . ينظر سعيد الحنديري ، المرجع السابق، ص٣٨–٤٠ ؛

جوزيف كي زيربو ، تاريخ افريقيا السوداء ،القسم الاول، ترجمة يوسف شلب الشام ،(دمشق: منشورات وزارة الثقافة ، ط١ ،١٩٩٤) ص٥٠٢-٥٠٣ .

١٤- مملكة كانم أو المملكة السيفية نسبة إلى سيف بن ذي يزن جدّ حكّام هذه المملكة، اشتهرت في التاريخ الإسلامي الحديث بكثرة ما خلّفتها للمكتبة العربية من مصنفات في شتّى فنون العلوم الإسلامية. وقد ملأت شهرتها جميع المساحات الشاسعة بين النيل والنيجر، وتّقدّر هذه المساحات بنحو مساحة القارة الأوربية. بل إن هذه الشهرة قد تعدّت حدود القارة الأفريقية إلى العالم الإسلامي، حيث ارتبطت علاقاتها بكلّ من مصر وشمالي أفريقيا.وقد وصلت شهرتها وعظمتها إلى أوربّا منذ العصور الوسطى فظهرت في الخرائط الأولى التي صدرت بأوربّا خلال تلك العصور عن مدرسة ميورقة لرسم الخرائط، ظهرت في خريطة دلكرت Dulkert عام (٧٣٩هـ ١٣٣٩م) وفي الخريطة القطالونية عام (٧٧٦هـ ١٣٧٥م).ولتلك الصّلات القويّة بالعالم الإسلامي أَسّس حكّام هذه المملكة مدرسة ابن رشيق لتعليم الطلاب الوافدين إلى مصر.وتُعتبر اللغة العربية لغة التعليم ولغة المملكة الرسمية فضلاً عن كونها لغة المعاملات التجارية.

١٥- مملكة باكرمي :تقع الى الجنوب الشرقي من مملكة كانم في جنوب تشاد الحالية وتاسست في بداية القرن السادس عشر على ايدي مجموعة من المهاجرين العرب الذين قدموا من اليمن تحت قيادة بيرني بيسي المؤسس الاول للملكة (١٥٢٢-١٥٣٦) وهو الذي بنى مدينة ماسينا واتخذها عاصمة له ، وبفضله اسلمت مجموعات كبيرة من السكان الاصليين ، وتعرضت المملكة خلال تاريخها الطويل الى الغزو الخارجي مرات متعددة منها الغزو الذي قامت به مملكة وداي سنة ١٨٠٦ والذي انتهى بمقتل ملكها عبد الرحمن غاورانغ الاول واحتلال العاصمة ماسينا ،ثم خضعت لسيطرة مملكة برنو سنة ١٨٢٤ ثم سيطرة رابح بن فضل الله السوداني سنة ١٨٩٣ . ينظر : سعيد الحنديري ، المرجع السابق ، ص٣٥٠٣٧؛ جوزيف كي زيربو، المرجع السابق ، القسم الاول ، ص٥٠١-٥٠٢ .

١٦- ينظر : محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، مراجعة يوسف المجريسي ، (اكسفورد : مركز الدراسات الليبية ،الطبعة الاولى المحققة ،٢٠٠٥) ص١٤٨،١٥١،١٥٥.

١٧- ينظر د. سعيد الحنديري ، المرجع السابق ، ص٥٧ ،١٥٢ .

١٨- شبكة الانترنيت www. 1911 encyclopedia – Rabah Zobeir

١٩- شبكة الانترنيت www.aljazeeratalk.net مع ملاحظة ان المقال المنشور في هذا الموقع فيه اخطاء تاريخية ومعلومات غير صحيحة عن رابح بن فضل الله .

٢٠- بابكر الجاك بابكر ، رابح الزبير من حلفاية الملوك الى مملكة دكوة ، مقال منشور على موقع الصحافة بتاريخ ٢١/ ٩ / ٢٠١٢ . sahafawriter@yahoo.com ومتاح في ٢٠١٤/١٠/١٤.

٢١- الدكتوره الهام محمد علي ذهني ، جهاد الممالك الاسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي ١٨٥٠ – ١٩١٤ ، (الرياض : دار المريخ للنشر ،١٩٨٨) ص١٧٧.

٢٢- اميل جنتيل : ولد في فرنسا عام ١٨٦٦ ، خدم في البحرية الفرنسية حتى عين رئيسا للبعثة الفرنسية لاستكشاف افريقيا التي اتجهت الى الكونغو وبحيرة تشاد فكانت بعثته الاولى سنة ١٨٩٩ وقد حققت نتائج باهرة وصار من كبار ابطال فرنسا ، اما بعثته الاخرى فكانت سنة ١٨٩٩ وهي التي نجح فيها في القضاء على رابح

بن فضل الله وضم دولته في تشاد الى السيطرة الاستعمارية الفرنسية.د. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المسلمون والاستعمار في افريقيا ، سلسلة عالم المعرفة ١٣٩ ، (الكويت : مطابع السياسة ، ١٩٨٩) ص٢٠٠.

٢٣- المرجع نفسه ، ص١٨٤.

٢٤- صادق مؤيد العظم : سياسي وعسكري واديب عربي سوري ادى دورا مهما في توطيد العلاقات بين الدولة العثمانية وممالك وسط افريقيا ،كان يجيد عدة لغات شرقية واجنبية وله اهتمام بالعلوم الحديثة ،ولد سنة ١٨٤٠ بدمشق ونشأ واكمل الدراسة الاولية والمتوسطة فيها ثم سافر الى اسطنبول واكمل دراسته العسكرية فيها ، وعمل مدرسا لمادة الكيمياء في الكليات العسكرية العثمانية وتقلب في عدة وظائف حتى صار مستشارا للسلطان عبد الحميد الذي اوفده في مهمات الى افريقيا مثل السودان والحبشة حيث قابل ملكها منليك الثاني ثم الجغبوب في سنة ١٨٨٦ والكفرة سنة ١٨٩٥ ثم الحجاز وعين متصرفا على جدة وتوفي في دمشق سنة ١٩١١ . ينظر : مؤيد صادق العظم ، رحلة في الصحراء الكبرى ، ترجمة د. عبد الكريم ابو شويرب ،(طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ط١ ، ١٩٩٨) ٢٣-٢٤ .

٢٥- قبيلة الجعليين من أكبر القبائل العربية في السودان والتي وصلت اليه في بداية القرن الأول الهجري. وقد تعرض الجعليون لمجزرتين بشعتين الاولى عام ١٨٢١ على يد الدفتردار والثانية على يد محمود ود احمد عام ١٨٨٧م. تشكل المجموعة الجعلية قدراً كبيراً من سكان شمال السودان وغربه وأجزاء كثيرة من مناطقه الأخرى وبالأخص من أبي حمد الى الخرطوم ، وهم ينتسبون الى ابراهيم جعل الذي ينتهي نسبه الى العباس بن عبد المطلب لذلك فهم يسمون ايضا عباسية .

٢٦- اي بين سنة ١٨٧٠و ١٨٧٥ لان صادق مؤيد العظم كتب هذا التقرير للدولة العثمانية سنة ١٨٩٥ .

٢٧- صادق مؤيد العظم ، المصدر السابق، ص١٦٢.

٢٨- نسبه من قبيلة الجعليين من فرع الجميعاب او(الجميعات). ينسب الزبيرالى العباس بن عبد المطلب فهو الزبير بن رحمة بن منصور بن علي بن بن محمد بن سليمان بن ناعم بن بكر بن عوض بن شاهين بن جميع بن منصور بن جموع بن الملك غانم بن حميدان بن صبح مسمار بن سرار بن محمد حسن كردم بن ادريس المكنى بأبي الديس بن قضاعة بن حرقان بن مسوق بن احمد اليماني بن ابراهيم الجعل بن ادريس بن قيس بن يمن الخزرجي بن عدنان بن قصاص بن كرب بن هاطل بن ياطل بن ذي القلاع الحميري بن سعد الانصاريين الفضل بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هشام.ينظر: موقع الجميعات على الانترنيت متاح في٢٠١٤/١٠/١٢.elgme3ab.yoo7.com

٢٩-- ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، (بيروت: دار مكتبة الحياة ، ط١ ، ١٩٦٥) ص٨٠-٨١ .

٣٠- الزاندي هي ثاني اكبر مجموعة قبلية بعد قبيلة الدينكا بجنوب السودان وهم يحتلون منطقة واسعة تغطي جنوب غرب مديرية بحر الغزال ، ذكر المؤرخون ان الزاندي هم عبارة عن مجموعة قبائل قد تجمعت وتعايشت وتصاهرت فكونت مجتمع الزاندي الحديث كما انهم لم يأتوا دفعة واحدة او في زمن واحد او من جهة واحدة انما دخلوا السودان في دفعات وفي تواريخ مختلفة ومن مناطق شتى فمنهم من جاء أصلا من إفريقيا الوسطى ولهم حتى الان جذور وصلات مع قبائل تأخذ الاسماء والعادات والتقاليد نفسها وتتحدث باللهجة ذاتها وان فروعا منها يتداخلون مع الكاكوا في زائير. لا تخضع قبائل الزاندي خضوعا تاما لزعيم واحد وانما كل

قبيلة يتزعمها ويترأسها احد زعماء فرع القنجارا بالضرورة كعُرف يستوجبه النظام الطبقي الذي يذعن له كل الزاندى ويرتضونه وهم اكثر قبائل السودان التزاما بتقاليدهم واعرافهم وينقسمون الي ثلاث طبقات ولكل طبقة حدودها ودورها الذي تلعبه وسط القبيلة. وهم اكثر قبائل السودان ولعا بالرقص والطرب والغناء خاصة في الليالي المقمرة ومواسم الحصاد والأفراح ولهم آلآت متنوعة يمارسون عليها العزف ومن اشهر تلك الآلات الرانقو والربابة وهم يرقصون في جماعات يختلط فيها النساء والرجال.ويبدو ان هذه الاجواء الاجتماعية المفتوحة سهلت للزبير الاقامة والعيش مع الزاندي. ينظر:www.sudaneseoneline

٣١- ضرار صالح ضرار، المرجع السابق ،ص٨٠-٨١.

٣٢- الرزيقات قبيلة عربية بدوية وهي فرع من جهينة وهي من أكبر القبائل العربية المنتشرة بشكل أساسي في إقليم دارفور وكردفان وبعض المناطق شرق تشاد، يدينون بالإسلام و يرتحلون حسب فصول السنة بين المناطق المختلفة وينقسمون إلى عدة بطون. ينتسب الرزيقات إلى علي الرحال بن عطية بن جنيد، ، لهم عدد من الأفخاذ وهم المحاميد وأولاد زيد والماهرية والنوايبة وغيرهم. وتنقسم إدارة الرزيقات إلى عدد من التقسيمات فنجد ناظر عموم الرزيقات ماديبو في مدينة الضعين بولاية جنوب دارفور.عرف عنهم انهم اول قبيلة سودانية ايدت الثورة المهدية ، وانهم من اشهرواغنى واقوى قبائل البقارة (رعاة البقر) ويحتلون منطقة مساحتها ١٢٠ الف ميل مربع شمال شرق دارفور، كما انهم خاضوا حروبا طاحنة ضد الزبير رحمة.يظر: آلن ثيوبولد، علي دينار آخر سلاطين دارفور، ترجمة فؤاد عكود ،(السودان : الشركة العالمية للطباعة والنشر، ٢٠٠٥) ص١٢.

٣٣- دكتور زاهر رياض ، السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال ، (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية،ط١، ١٩٦٦) ص٣٢-٣٣ ،ص٦٢ .

٣٤- ضرار صالح ضرار ، المرجع السابق ، ص٨٢؛زاهر رياض ، المرجع السابق ،ص٣٤.

٣٥- ينظر: صفحة الزبيرباشا ود رحمة على الفيس بوك متاح في ٢٠١٤/١٠/١٣.
http//ar-ar.facebook.com/pages/311664765541709

٣٦- دكتور زاهر رياض ،المرجع السابق ، ص٣٢-٣٣ .

٣٧- ضرار صالح ضرار ، المرجع السابق ، ص٨٢.

٣٨- المرجع نفسه ، ص٨٢-٨٣ .

٣٩- المرجع نفسه، ص٨٣.

٤٢- بانيكار ، المرجع السابق ، ص٣١٧.

٤١- المرجع نفسه ، ص١٠١-١٠٢.

٤٢- اللورد كرومر إقلين بارنگ، إيرل كرومر الاول Evelyn Baring, 1st Earl of Cromer ولد في 26 . شباط ١٨٤١ وتوفي في ٢٩ كانون الثاني ١٩١٩ كان رجل دولة ودبلوماسي وإداري مستعمرات بريطاني.وكان من كبار دعاة التغريب والاستعماريين في العالم الإسلامي وواحد من الذين وضعوا مخطط السياسة التي جرى عليها الاستعمار ولا يزال، في محاولة القضاء على مقومات العالم الإسلامي والأمة العربية.وتمثل كتاباته في تقاريره وفي كتابه (مصر الحديثة) خطة عمل كاملة وأيدلوجيا شاملة للقضاء على مقومات الفكر العربي الإسلامي وتمزيق وحدة العالم الإسلامي، ومقاومة القيم والمفاهيم العربية والإسلامية.ولقد أمضى لورد كرومر في مصر ما لا يقل عن ربع قرن قابضًا على زمام السلطات (١٨٨٢-١٩٠٦) وأتيح له قبل أن يقضي وقتًا في

الهند، درس في خلالها مناهج الاستعمار البريطاني هناك، وقد عمل أول مرة في مصر مندوبًا لصندوق الدين المصري ١٨٧٧، ثم ما لبث أن عين بعد الاحتلال البريطاني مباشرة مندوبًا ساميًا، ومعتمدًا لبريطانيا. الموسوعة الحرة ويكيبيديا على الرابط: ar.Wikipedia.org

٤٣- الدكتور علي ابراهيم عبده ، اضواء على المنافسة الدولية في اعالي النيل (القاهرة: مطابع الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣) ص٢٦.

٤٤- ريكنالد وينكت: ١٨٦١-١٩٥٣ جنرال بريطاني كان سردار الجيش المصري وحاكما عاما للسودان ١٨٩٩-١٩١٦ ورئيس اركان العمليات الحربية في الحجاز ١٩١٦-١٩١٩ ثم مندوبا ساميا في مصر احيل على التقاعد سنة١٩٢٢. د. عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري ، الموسوعة السياسية (بيروت: الدار العربية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى ، ١٩٧٤) ص٥٨٣.

٤٥- بابكر الجاك بابكر ، المصدر السابق ؛ بانيكار ،المرجع السابق ،ص ٣١٧.

٤٦- ضرار صالح ضرار ، المرجع السابق ، ص٩٠ ؛ عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ، ص١٨٦.

٤٧- بعد قيام الثورة المهدية في السودان عام ١٨٨١ كلفت الادارة البريطانية في مصر غوردون بمهمة اخلاء السودان ، وقبل سفره التقى في القاهرة الزبير باشا رحمه في منزل المعتمد البريطاني في مصر افلين بارنك الذي اصبح اللورد كرومر فيما بعد ، فاحتدم النقاش بين غوردون والزبير بعد ان اتهم الاول الثاني بأنه حرض ابنه سليمان على الثورة في بحر الغزال فنفى الزبير هذه التهمة بشدة وطالب غوردون بأن يقدم ادلته على هذا الاتهام ، فادرك غوردون خطأه ، وطلب من بارنك ان يسمح له باستصحاب الزبير معه الى السودان ليشاركه في قمع الثورة المهدية، وهكذا تغيرت الاحوال فبعد ان كان غوردون يعمل على تعزيز السلطات المصرية في السودان ها هو يعمل مرة اخرى على مساعدة السودانيين على طرد الحكم المصري من السودان ،وعندما وصل غوردون الى الخرطوم واجه مشكلة جديدة هذه المرة وهي من سيتسلم الحكم في السودان؟ فاقترح على بارنك تعيين الزبير بهذا المنصب وكان غوردون يبغي من وراء ذلك تعويض الزبير عن الخسارة الكبيرة التي تكبدها في ماله وملكه وابنه على يد غوردون ، وكان يعتقد ان الزبير هو السوداني الوحيد القادر على حكم السودان والتصدي لثورة المهدي كما كان يرى ان الزبير مؤمن بالوحدة بين مصر والسودان وانه سيظل امينا على هذا المبدأ ، وهو يرى ان الزبير رجل كفوء عسكريا واداريا ، وهكذا اصبح غوردون من اشد المناصرين للزبير بعد ان كان من الد اعدائه ، الا ان السلطات البريطانية رفضت الاستجابة لاقتراح غوردون هذا ولكن شاءت الاقدار ان تكون نهاية غوردون على ايدي السودانيين انفسهم من رجال الثورة المهدية في ٢٦ كانون الثاني ١٨٨٥. ينظر : ضرار صالح ضرار، المرجع نفسه ، ص١٤٥-١٤٧ ؛ البروفسور محمد عمر البشير ،تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠-١٩٦٩ ، ترجمة هنري رياض وآخرون (الخرطوم:الدار السودانية للكتب ، ١٩٨٠)ص٢٤.

٤٨- ضرار صالح ضرار ، المرجع السابق ، ص٩١-٩٢.

٤٩ المرجع نفسه ، ص٩٢ .

٥٠- ينظر: آلن ثيوبولد ،المرجع السابق ، ص١٩؛ د. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ابراهيم ، المرجع السابق ،ص١٨٤-١٨٨ .

٥١- الدكتور عبد السلام بغدادي ، الجماعات العربية في افريقيا دراسة في اوضاع الجاليات والاقليات العربية في افريقيا جنوب الصحراء (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٥) ص٥٥٩ .

٥٢- بابكر الجاك بابكر، المصدر السابق.

٥٣- بانيكار ، المرجع السابق ، ص٣١٧-٣١٨ .

٥٤- بابكر الجاك بابكر ، المرجع السابق.

٥٥- د. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ،ص١٨٧.

٥٦- بانيكار ، المرجع السابق ،ص٣١٨.

٥٧- شبكة الانترنيت www.1911encyclopeedia

٥٨- المرجع نفسه.

٥٩- مملكة بورنو:اسسها جماعة من قبائل الطوارق(الزغاوا) في القرن التاسع الميلادي وتزاوج ملوكها مع سكانها الاصليين واعتبارا من ذلك التاريخ ظهر فيها شعب مميز الى الشرق من تشاد وتكونت هذه المملكة من شقين بورنو وكانم ، وفي عهد ملكها اومي (١٠٨٥-١٠٩٧) دخل الاسلام الدى كانم وتوسعت هذه المملكة شمالا حتى وصلت الى مرزق كما توسعت غربا حتى وصلت النيجروضمت بلاد الحوصة (الهوسا) وكانت بورنو اقوى مملكة في تلك المنطقة في عهد ملكها ادريس الاوما المجيد (١٥٨١- ١٦١٧)وشهدت هذه المملكة صراعات وحروب عديدة مع جارتيها باكرمي ووداي حتى تمكن رابح بن فضل الله احتلالها عام ١٨٩٣ ، جوزيف كي زيربو ، المجع السابق ، ص٢٥٥- ٢٦٠ ، ص٤٩٤-٥٠١ .

٦٠- ذكر بانيكار خطأ ان اسمه الشيخ حكيم. انظر بانيكار بسبب الخطأ في كتابة الاسم هاشم Hachem بالمصادر الاجنبية وترجمته الى العربية ، المرجع السابق ، ص٣١٨.

٦١- مؤيد صادق العظم ، المرجع السابق ، ص١٦٤.

٦٢- وهما نوعان من البنادق المتطورة في ذلك الوقت .

٦٣- مؤيد صادق العظم ، المرجع السابق ، ص١٦٤.

٦٤- بانيكار ، المرجع السابق ، ص٣١٨.

٦٥- د.عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ،ص١٩١.

٦٦- العظم ، المرجع السابق، ص١٦٥-١٦٧ .

٦٧- فرانشيسكو كورو ، ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني ، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي ،(طرابلس: دار الفرجاني ، ١٩٧١) ص٨٦.

٦٨- نقلا عن : رجب نصير الابيض ، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ،(طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ط١ ، ١٩٩٨) ص٢٦٢-٢٦٣ .

٦٩- صادق مؤيد العظم ، المصدر السابق ، ص١٦٨ .

٧٠- اولاد سليمان : قبائل مركزها منطقة هوارة على خليج سرت ، انتشرت في غرب بحيرة تشاد وفي منطقة البرابيش بصحراء تاوديني شمال تمبكتو ، واثناء مقومة الاحتلال الفرنسي ادى التنازع بين الطوارق والعرب الى قبول احدى عشائر اولاد سليمان للحماية الفرنسية وكان ذلك طعنة للمقاومة . بانيكار ، المجع السابق ، ص٢٧٥ .

٧١- صادق مؤيد العظم المرجع السابق ، ، ص١٦٧ .

٧٢- زندر : تقع الى الشمال الغربي من برنو وكانت احدى الامارات التابعة لها وهي اقرب الى فزان من برنو ، كان اهلها يعملون بالتجارة وهي مدينة عامرة ومتحضرة في ذلك الوقت وقوية تستطيح ان تجنيد ٢٠ الف فارس عند الحاجة. والى الجنوب منها على مسافة خمسة ايام تقع كاشنا اما كانو فتبعد عشرة ايام عن زندر وخمسة ايام عن كاشنا نحو الجنوب ، وتبعد سوكوتو خمسة عشر يوما عن كانو وكان لحاكمها علاقات ود وصداقة مع الدولة العثمانية وهي مناطق معمورة ومتحضرة انذاك. صادق مؤيد العظم ، المرجع السابق ، ص١٦١.

٧٣- كانو:احدى ممالك الهوسا الى الغرب من برنو ، دخلها الاسلام بوقت مبكر وحكمها منذ تاسيسها عام ٩٩٩ نحو ٤٨ ملكا

٧٤- سوكوتو: تقع على نهر الكبي الى الشمال الغربي من كانو ،هي عاصمة الامبراطورية الفولانية التي اسسها عثمان دان فوديو (١٧٥٤ – ١٨١٨) ولد في في اسرة اشتهرت بالعلم والصلاح ونشأ في ديجل واصبح في شبابه احد اتباع الطريقة القادرية ، ونذر نفسه للاصلاح ونشرالعلم وكثر اتباعه وكون قوة جهادية ، اصطدم في بداية امره مع امارة جوبير ثم استطاع ان يؤسس الامبراطورية الفولانية واتخذ من سوكوتو عاصمة لها واستمرت هذه الدولة قرنا من الزمن (١٨٠٤ – ١٩٠٣) . عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المستعمرون والاستعمار الاوربي لافريقيا ،(الكويت: ١٩٨٩) ص٤٠.

٧٥- صادق مؤيد العظم ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

٧٦- بانيكار ، المرجع السابق ، ص٣١٨ .

٧٧- شبكة الانترنيت www.1911 encyclopeedia

٧٨- بانيكار ، المرجع السابق ، ٣١٨-٣١٩ .

٧٩- د. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم المرجع السابق ص١٩١.

٨٠- حنان طلال جاسم ، التطورات السياسية الداخلية في النيجر ١٩٦٠-١٩٧٩، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية – جامعة بغداد ، ٢٠١٤ ، ص١٧-١٨.

٨١- د. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ، ص١٩٦.

٨٢- صادق مؤيد العظم ، المرجع السابق ، ص ١٦٧- ١٦٨ .

٨٣- ينظر: F.O.101/84,No.11.Justin Alvarez to F.O.December30,1894. نقلا عن د. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ،ص١٩٧.

٨٤- اللورد روبرت سيسل ماركيز سالزبوري (١٨٣٠-١٩٠٣) : درس في اكسفورد وتزعم حزب المحافظين البريطاني ، تسلم عدة مناصب قبل ان يصبح رئيسا للوزراء عام ١٨٨٥ سقطت حكومته عام ١٨٩٢ ، ثم عاد مرة اخرى عام ١٨٩٥ ، وكان له دور في انهاء حرب البوير ثم استقال عام ١٩٠١ على اثر وفاة الملكة فكتوريا فكلفه الملك ادوارد السابع بتشكيل الوزارة مرة اخرى في العام نفسه ولم يطل به المقام في الوزارة طويلا حيث استقال في العام التالي ثم توفي عام ١٩٠٣. الموسوعة الحرة ويكيبيديا على الرابط: ar.Wikipedia.org

٨٥- د. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ، ص١٩٧.

٨٦- فردريك لوجارد : ضابط بريطاني ولد سنة ١٨٥٨ قاد حملات عديدة في افريقيا ، تولى منصب المفوض السامي البريطاني في مستعمرة نيجيريا الشمالية للمدة ١٩٠٠- ١٩٠٧ ، نقل الى هونك كونك للمدة ١٩٠٧- ١٩١٢ ثم عاد الى نيجيريا حاكما عاما للمدة ١٩١٢- ١٩١٩ ، اصبح بعدها في اللجنة الدائمة للانتدابات التابعة لعصبة الاممخلال المدة ١٩٢٣- ١٩٣٦ ، واضع نظرية الحكم غير المباشر للمستعمرات البريطانية التي نشرها في كتابه " الانتداب الثنائي في افريقيا الاستوائية " الذي صدر عام ١٩٢٢، توفي سنة ١٩٤٥،ينظر:
Toyiu Falola and Ann Genova,Historical Dictionary of Nigeria, No.111,USA,2009, P.213.

٨٧- د. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ،ص١٩٧-١٩٨ .

٨٨- جوزيف كي زيربو ، المرجع السابق ، القسم الثاني ، ص٧٤٦.

٨٩- سعيد الحنديري ، المرجع السابق ، ص ٥٠ .

٩٠- محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص١٥٠ .

٩١- سعيد الحنديري ، المرجع السابق ، ص٤٨-٤٩ .

٩٢- محمد فؤاد شكري ، المجع السابق ، ص ١٥١.

٩٣- المرجع نفسه ، ص١٤٨.

٩٤- برقو: تقع في شمال تشاد في منطقة التبيستي الفاصلة بين الحدود الليبية والتشادية.

٩٥- محمد فؤاد شكري ، المصد السابق ، ص ١٤٩.

٩٦- دود مورا او دود مرة او داوود مرة وتعني اسد مرة بلغة الوداويين،حكم وداي بين عامي ١٩٠٢ و١٩٠٩ ، كان واحدا من اشهر سلاطين وداي اشتهر بالذكاء والثقافة وكان متدينا جدا . آلن ثيوبولد : المرجع السابق ، ص٤٩.

٩٧- المرجع نفسه ، ص٤٨-٥٠.

٩٨- الدكتور عبد السلام بغدادي ، المرجع السابق ،ص٥٦٠.

Rabih Bin Fadlallah Al-Sudanese
The commander of the national resistance and the founder of the first Arab state in Chad
(1846 - 1900)

Prof.Dr. Dhahir Mohammad Segar Al-Hasnawi
College of Education Humanities / Iben Rushd
Baghdad University

Conclusion :

The Rabih Ibn Fadlallah one of the Sudanese leader known as Zubair Pasha Rahmat Mansour, who was able to set up its own in the Bahr el Ghazal emirate officers then extended to include Kordofan and Darfur, and because of the British incitement by accusing the slave trade in the Egyptian authorities began represented by Governor Gordon in Khartoum tightening it, Zubair left with a huge entourage to Cairo to assure the Khedive Ismail as loyal to Egypt, and does not have any separatist intentions but was detained there and prevented from returning, he withdrew his son Suleiman to run the country, but Gordon governor of Sudan orchestrated against him a conspiracy, accusing him of trying to secede is the other, and sent him led force the officer Italian Jessie, and on the advice of his father Zubair surrendered Suleiman Jessie stressing good intentions, but the latter was soon betrayed him and killed him with a number of his relatives, and was Rabih one Suleiman prominent officers who did not feel safe by these foreigners refused to surrender with Suleiman, and headed west with about a thousand fighter of his followers armed Balnadeg, and seized large areas in the south of the kingdom Waday then took expands gradually so as to enable the formation of the Kingdom and Waday in 1892 included large parts of the kingdom Waday and all of the kingdoms of Backermee and Brno and parts of the Kingdom of Sokoto, and took the city Dkwah his capital, and form an army strong and thus the foundations or modern Arab Islamic state in Chad and parts of Cameroon and the current Niger, and this is what led to the collision penetrating the colonial French in the center of the African continent, and they had a fierce battles continued over the eight years ended with the killing Rabih and the elimination of his kingdom in 1900 after he brought France forces large from Algeria and West Africa. He withdrew his son Fadlallah leadership of the Arab resistance there is even kill the other in 1902.